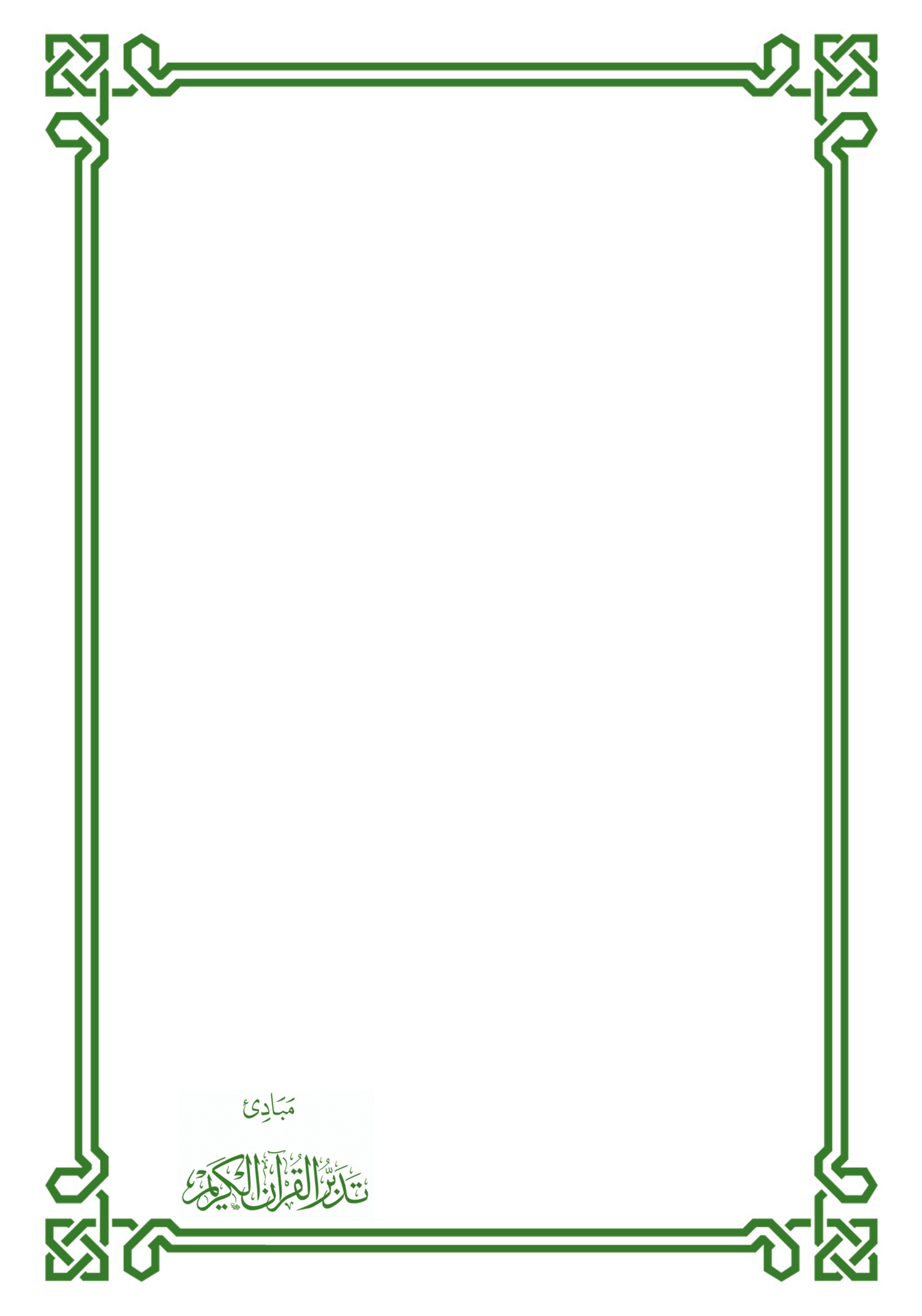


مبادئ
تدبر القرآن الكريم



مركز تدبر للدراسات والاستشارات

مبادئ

تدبر القرآن الكريم

الطبعة الثانية

١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧

الرياض ـ الدائري الشرقي ـ مخرج ١٥

هاتف ٢٥٤٩٩٩٣ ٠١١ ـ تحويلة ٣٣٣

ناسوخ ٢٥٤٩٩٩٦ ٠١١

ص.ب. ٩٣٤٠٤ الرمز: ١١٦٨٤

البريد الحاسوبي: tadabbor@tadabbor.com

@tadabbor www.tadabbor.com



....



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المطيري، عبدالمحسن زبن

أصول تدبر القرآن الكريم (١) مبادئ تدبر القرآن الكريم / عبدالمحسن زبن المطيري - ط٢ - الرياض، ١٤٣٧هـ

١٢٠ ص؛ ١٧ × ٢٢ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠١-٩٦٠٠-٥

١- القرآن - مباحث عامة أ. العنوان

ديوي ٢٢٩ ١٣٤ / ١٤٣٨

رقم الإيداع: ١٣٤ / ١٤٣٨

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠١-٩٦٠٠-٥

أصول تدبر القرآن الكريم (١)



مبادئ



تأليف

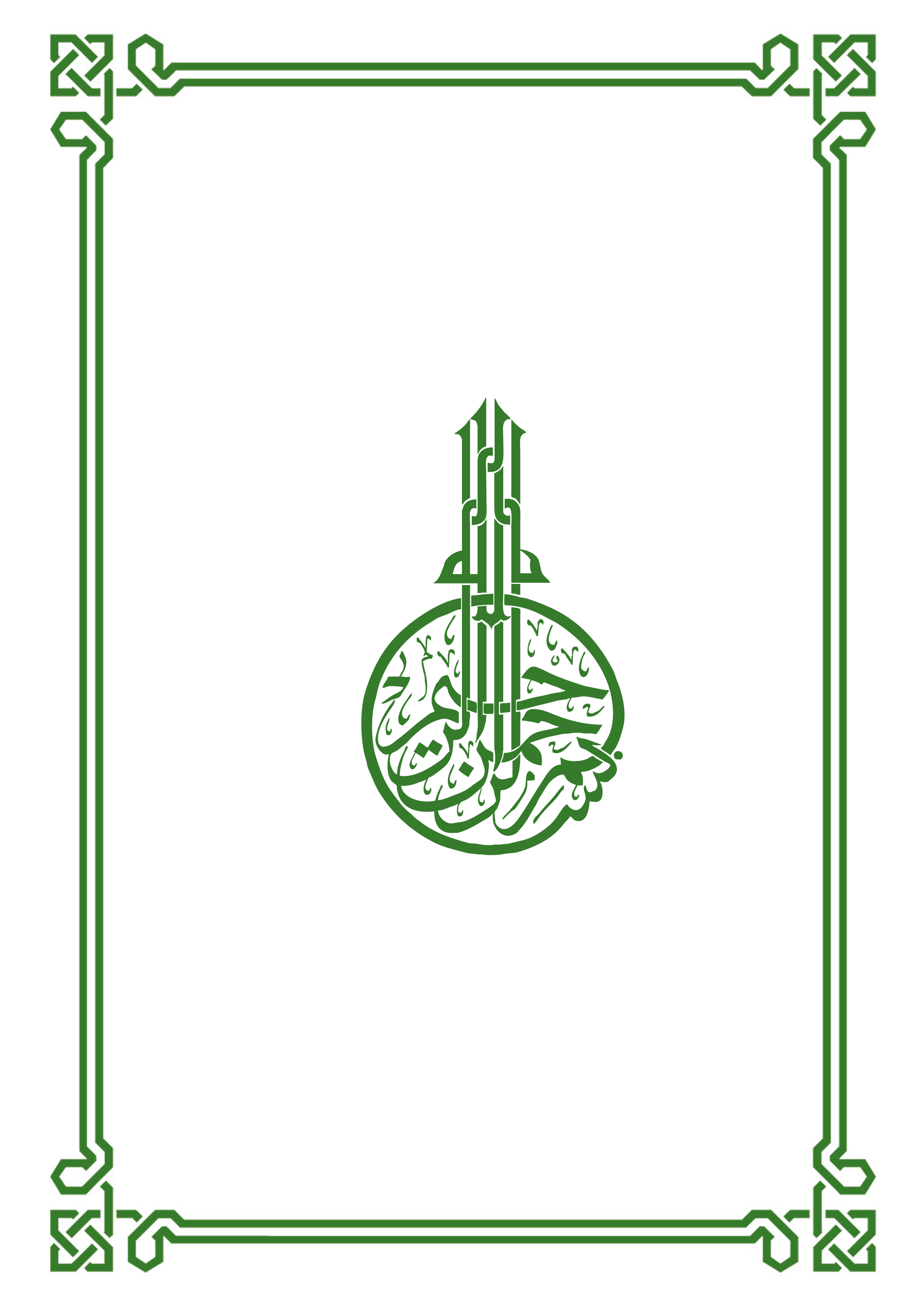
د. عبد المحسن بن زبن المطيري

الأستاذ بقسم التفسير والحديث بكلية الشريعة في جامعة الكويت

ويليه نظم الكتاب

منظومة فتق الأذهان بتدبُّر القرآن

للشيخ/ حامد الإدريسي


بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرا، والصلاة والسلام على من جعله الله هاديًا وبشيرا، وسراجًا منيرا، وعلى آله الطيبين، وصحبه الأكرمين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فإن من أعظم النعم التي منَّ الله تعالى بها علينا -أمةَ الإسلام- نعمةَ القرآن الكريم، الذي به اصطفى هذه الأمة: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (فاطر:٣٢)، وبه شرَّف هذه الأمة: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ (الأنبياء:١٠)؛ أي: شرفكم، وقال ﷺ: «أبشروا؛ فإن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تهلكوا، ولن تضلوا بعده أبدًا»[١].

فضمن الله سبحانه ألَّا يضلَّ المتمسك به أبدًا، والخيرية مرتبطة بهذا الكتاب العظيم، كما في الحديث المشهور: «خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»[٢]، وقال ﷺ: مؤكدًا هذا المعنى: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين»[٣]،

---

١) رواه الطبراني، والبيهقي، وغيرهما، انظر تخريجه وتصحيحه في السلسلة الصحيحة للألباني، (٧١٣).

٢) أخرجه البخاري (٤٧٣٩).

٣) أخرجه مسلم (٨١٧).

ويوم القيامة يَشفع لقارئ القرآن حفظه وعمله به، وتأتي البقرة وآل عمران تحاجَّان عن أصحابهما[1]، ويحرِّم الله تعالى أجساد أهل القرآن على النَّار، كما قال ﷺ: «لو كان القرآن في إهاب ما أكَلَته النَّار»[2]، ثم إذا دخل الجنَّة قيل له: «اقرأ وارق ورتِّل فإنَّ منزلتك عند آخر آية تقرؤها»[3].

إنَّها فضائل كثيرة لا تعد ولا تحد، لستُ بصدد حصرها؛ لذلك كانت حقوق القرآن على الأمَّة كثيرة، وبتتبع النصوص نجد أن الحقوق **والواجبات التي تجب علينا تجاه هذا الكتاب الكريم هي خمسة في الجملة**[4]:

الأول: الاستماع، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ (الأعراف).

الثاني: التلاوة، قال تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ (المزمل: ٢٠)، وقال ﷻ: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ (المزمل:٢٠)، وقال ﷻ: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾ (النمل:٩١-٩٢)، وقال ﷻ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ (المزمل)، وقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ (البقرة:١٢١).

---

١) أخرجه مسلم بلفظ: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين يعمون به...»، (١٣٤٤).

٢) رواه الإمام أحمد (١٧١٦)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٨٤).

٣) رواه الترمذي (٢٩١٤)، وأبو داود (١٤٦٤)، وهو حديث صحيح.

٤) انظر: (القرآن تدبر وعمل)، إعداد مركز المنهاج، ص: أ.

الثالث: الحفظ، قال تعالى: ﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾ (العنكبوت:٤٩)، فبين الله تعالى أن أهل الحفظ هم أهل العلم، وفي هذا حثٌّ على الحفظ، وفي الحديث: «**إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخَرِب**»[١]، واتفق العلماء على وجوب حفظ ما تقوم به الصلاة، واتفقوا على أنه يجب أن يكون في الأمة من يحفظ القرآن[٢]، يقول شيخ الإسلام ابن تيميَّة: «وأمَّا طلب حفظ القُرآن فهو مُقدَّم على كثيرٍ ممَّا تسميه الناس علمًا، وهو إمَّا باطلٌ أو قليلُ النفع، وهو أيضًا مُقدَّم في حقِّ مَن يريدُ أنْ يتعلَّم عِلمَ الدِّين من الأصول والفُروع، فإنَّ المشروع في حقِّ مثل هذا في هذه الأوقات أنْ يبدأ بحِفظ القُرآن فإنَّه أصلُ علوم الدِّين»[٣].

الرابع: التدبُّر، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾ (ص)؛ فجعل مقصد الإنزال التدبر، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ ﴾ (النساء)، فعاتب الله تعالى من لم يتدبر، ولا يكون العتاب والتوبيخ على ترك مستحب، ثم أعاد هذا العتاب مرة أخرى في سورة محمد، فقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤ ﴾، وحكم على من لم يتدبَّر بأنَّه مقفل القلب.

---

١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٩٤٧)، والترمذي في السنن (٢٩١٣)، والدارمي في السنن، (٥٢١/٢)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢٠٣٧)، والطبراني في المعجم (١٢٦١٩). وصححه الترمذي والحاكم، وحسَّنه حسين أسد في تحقيق الدارمي، وضعفه الألباني في تحقيق الترمذي، والأرناؤوط في تحقيق المسند.

٢) انظر: مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، ابن حزم، ص ١٥٦.

٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٥٤/٢٣).

وعن عائشة رضي الله عنها أنه ذُكر لها أن ناسًا يقرؤون القرآن في الليل مرة أو مرتين، فقالت: «أولئك قرؤوا ولم يقرؤوا؛ كنت أقوم مع النبي ﷺ ليلة التمام، فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء، فلا يمرُّ بآية فيها تخوُّف إلا دعا الله واستعاذ، ولا يمرُّ بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغَّب»[1].

قال الصنعاني: «الحديثُ دليلٌ على أنه ينبغي للقارئ في الصلاة تدبّر ما يقرؤه، وسؤال رحمته، والاستعاذة من عذابه»[2]. وقال القاضي عياض: «هذا كان قدر قراءته ﷺ غالبًا، وأنَّ تطويلَه الوارد إنما كان في التدبّر والترتيل»[3]. وقال الحسن البصري: «إنَّ من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم؛ فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها في النهار»[4].

الخامس: العمل به والاحتكام إليه؛ وهو ثمرة التدبر، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ (الأنعام)، ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (الأعراف:٣)، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (المائدة) ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ (المائدة).

---

١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٤٦٠٩)، وصححه الألباني في صفة صلاة النبي ﷺ، ص ٥٠٤.

٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام، ابن الأمير الصنعاني (٢٨١/١).

٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض اليحصبي (١٩٧/٣).

٤) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (٢٧٥/١).

قال ﷺ: «**أَتَيتُ ليلة أُسْرِيَ بي على قومٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُم بمَقَارِيضَ من نار، كلَّمَا قُرِضَتْ وَفَتْ، فقلتُ: يا جبريل، مَن هؤلاء؟ قال: خطباء أُمَّتك الَّذين يقولون ما لا يفعلون، ويقرَءُون كتاب الله ولا يعملون**»[1].

والواجبات الثلاثة الأولى أحسب أن الأُمَّة قامت بها خير قيام لاسيما في هذا الزمن؛ فالاستماع أصبح في أغلب الإذاعات، بل جُعِلت للقرآن إذاعات متخصصة، وأشرطة وأقراص مدمجة، وقنوات فضائية، بل أصبح الرجل يجد المصحف كاملًا في هاتفه الجوال سماعًا وقراءة، وأصبح أحدنا متى ما أراد سماع القرآن الكريم تيسر له ذلك بلا عناء، والحمد لله.

والواجب الثاني تحقق تحقُّقًا كبيرًا بعد وجود المطابع، وخصوصًا (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف) الذي يطبع ملايين المصاحف كل عام، حتى كاد المصحف يكون متوافرًا في كل بيت، وفي كل مكان، بل أُسِّست جمعيات خيريَّة كثيرة متخصِّصة في طباعة المصحف، ولله الحمد.

والواجب الثالث: (الحفظ)، تحقَّق جزء كبير منه بعد فتح حلقات تحفيظ القرآن، والجمعيات المتخصِّصة في تحفيظ القرآن، بل أصبحت الحكومات تجعل إدارة خاصة في وزارات الأوقاف لتحفيظ القرآن، والحمد لله.

---

١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٦٣٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٩).

وأما الواجب الرابع: (التدبُّر)، وما يترتب عليه -وهو الواجب الخامس (العمل)- فمازلنا لم نوفِّهِ حقه، مع أنه هو المقصود الأعظم من هذه الواجبات، قال السّيوطيّ (ت٩١١هـ): «وتُسَنّ القراءة بالتّدبُّر والتّفهُّم؛ فهو المقصود الأعظم، والمطلوب الأهم، وبه تنشرح الصّدور، وتستنير القلوب»[١]، وهو الفرق بين صدر هذه الأمة وآخرها. قال محمد بشير الإبراهيمي: «تدبُّر القرآن واتِّباعه هما فرق ما بين أول الأمَّة وآخرها، وإنه لفرق هائل؛ فعدم التدبُّر أفقدنا العلم، وعدم الاتباع أفقدنا العمل، وإننا لا ننتعش من هذه الكبوة إلا بالرجوع إلى فهم القرآن واتِّباعه، ولا نفلح حتى نؤمن ونعمل الصالحات: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾ (الأعراف)»[٢].

فما عدد المؤسسات المتخصِّصة في التدبُّر، سواء أكانت خيريَّة أم حكومية أم خاصَّة؟! بل كم عدد المؤلفات التي كتبت في موضوع التدبُّر، وأين هي دورات تدبُّر القرآن، {هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا}؟!

وهذه الواجبات تفسِّر لنا لماذا يرفع الله بهذا القرآن أقوامًا ويضع به آخرين؟ ويفسِّر لنا لماذا كان القرآن حجَّة لنا أو علينا؟

فمن هنا أردتُّ أن أضع لبنة في هذا المشروع الكبير لخدمة كتاب الله تعالى، وتوجيه الناس إليه، وتذكيرهم به، فعلم تدبُّر القرآن من العلوم المهمة؛

---

١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (١/٢٨٣).

٢) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي (١/٣٢٧).

تحقيقًا لأمر الله سبحانه بتدبُّره، وقيامًا بحق من حقوق القرآن علينا، وفي هذا البحث أردتُّ القيام بالتأصيل لهذا العلم؛ كتأصيل السابقين في التأليف، حيث جعلوا لكل علم مبادئًا.

وقد جُمعت مبادئ العلوم في قول الصبان رحمه الله[1]:

إن مبـــادِي كلِّ فـــنٍّ عـــشرهْ ... الحـــدُّ والموضـــوعُ ثـــم الثمـــرهْ

ونســـبةٌ وفضلُـــهُ والواضـــعْ ... والاســـمُ الاســـتمدادُ حكـــمُ الشـــارعْ

مســـائلٌ والبعـــضُ بالبعـــضِ اكتـــفى ... ومـــن درى الجميـــعَ حـــازَ الشرفـــا

ومن هنا سأقسم البحث على هذه المبادئ العشرة:

(الحد - الموضوع - الفضل - الثمرة - النسبة - الواضع - الاسم - الاستمداد- حكم الشارع - المسائل)، مع تقديم فيها وتأخير، ودمج بعضها في مبحث واحد، وزدته فصلًا حول أسباب تدبر القرآن الكريم وموانعه.

وعليه ستكون **خطة البحث** على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها أهمية البحث وسبب اختياره.

الفصل الأول: مبادئ التدبر:

المبحث الأول: تعريف التدبر.

---

١) الشيخ محمد علي الصبان (١٢٦٣هـ) في حاشيته على شرح شيخه الملّوي للسّلم المنورق، ص ٣٥.

المبحث الثاني: نسبة علم التدبر إلى العلوم، وموضوعه.

المبحث الثالث: واضع علم التدبر.

المبحث الرابع: حكم الشرع في التدبر.

المبحث الخامس: فضل علم التدبر.

المبحث السادس: ثمرة التدبر.

المبحث السابع: مسائل علم التدبر واستمداده.

الفصل الثاني: أسباب التدبر وموانعه:

المبحث الأول: الأسباب المعينة على التدبر، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأسباب المعنوية.

المطلب الثاني: الأسباب الحسية.

المبحث الثاني: موانع التدبر، وفيه مطلبان:

المطب الأول: الموانع المعنوية.

المطلب الثاني: الموانع الحسية.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

ولا يخفى أن الكلام في أصول العلوم من أشق المباحث خصوصًا مع قلَّة المراجع.

وقد حاولت جاهدًا أن أحصر ما كتب عن التدبر في القديم والحديث والاستفادة منه[1]، وقد انتفعت جدًّا بإصدارات الهيئة العالميَّة لتدبُّر القرآن الكريم من كتب ومنشورات وملتقيات ومؤتمرات، وجردت أغلبها ولخصتها وزدتُّ عليها، ورتبتها في هذا البحث الذي بين يديك، ولكن القصور من طبع البشر، وأسأل الله تعالى أن يمدَّنا بفضله، ويجعل أعمالنا خالصة لوجهه، ويجعل ما كتبته نافعًا لي وللمسلمين.

د. عبدالمحسن بن زبن المطيري

الكويت - مدينة سعد العبد الله

١١ شعبان ١٤٣٦هـ

١) وسأذكرها -إن شاء الله- في مبحث (واضع علم التدبر)، كما سيأتي.

الفصل الأول: مبادئ التدبر

المبحث الأول:

تعريف التدبر.

المبحث الثاني:

نسبة علم التدبر إلى العلوم وموضوعه.

المبحث الثالث:

واضع علم التدبر.

المبحث الرابع:

حكم الشرع في التدبر.

المبحث الخامس:

فضل علم التدبر.

المبحث السادس:

ثمرة التدبر.

المبحث السابع:

مسائل علم التدبر واستمداده.

المبحث الأول

تعريف التدبر

(التدبُّر)، هو مصطلح شرعي ورد في النصوص؛ كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (النساء)، وقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (ص)، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ (محمد)، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (المؤمنون).

والبدء بالتعريف غايةٌ في الأهمية؛ فالحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره، وحتى لا يشتبه التدبر بغيره؛ كالتفسير[1]:

المطلب الأول: التدبُّر في اللغة:

مأخوذ من مادة (دَبَرَ)، قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): «وهو آخِرُ الشَّيء وخَلْفُه؛ خلافُ قُبله... ودبَّرْتُ الحديثَ عن فُلانٍ: إذا حدَّثتَ به عنه، وهو من الباب؛ لأنَّ الآخِرِ المحدِّثَ يَدْبُرُ الأوّلَ: يجيءُ خَلْفَه... وفي الحديث: «**ولا تَدَابَرُوا**»[2]، وهو من الباب، وذلك أنْ يترُكَ كلُّ واحدٍ منهما الإقبالَ على صاحبه بوجْهه...»[3].

---

١) وقد أقامت الهيئة العالميّة لتدبُّر القرآن ملتقًى علميًّا بعنوان (مفهوم التدبُّر: تحرير وتأصيل)، وجَمَعتْ الهيئة كل ما ألقي في هذا الملتقى من أوراق بحث وتعليقات ومناقشات في كتاب بنفس العنوان، وطبعته، وهو من إصدارات الهيئة.

٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

٣) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (٢/٣٢٤).

وقال ابن منظور (ت٧١١هـ): «دَبَّرَ الأَمْرَ وتَدَبَّره؛ أي: نظر في عاقبته، واسْتَدْبَرَه: رأى في عاقبته ما لم ير في صدره، وعَرَفَ الأَمْرَ تَدَبُّرًا؛ أَي: بأَخَرَة، قال جرير:

ولا تَتَّقُونَ الشَّرَّ حتى يُصِيبَكُمْ ولا تَعْرِفُونَ الأَمْرَ إلا تَدَبُّرَا[1]

والتدبير في الأمر: أَن تنظر إلى ما تَؤُول إليه عاقبته، والتَّدَبُّر: التفكر فيه، وفلان ما يَدْرِي قِبَالَ الأَمْرِ من دِباره؛ أي: أَوَّله من آخره، ويقال: إنَّ فلانًا لو استقبل من أَمره ما استدبره لهُدِيَ لِوِجْهَةِ أَمْرِهِ؛ أَي: لو علم في بَدْءِ أَمره ما علمه في آخره لاسْتَرْشَدَ لأَمره»[2].

وقال ابن القيم (ت٧٥١هـ): «وتدبر الكلام: أن ينظر في أوله وآخره، ثم يعيد نظره مرة بعد مرة؛ ولهذا جاء على بناء التفعُّل؛ كالتجرع والتفهم والتبين»[3].

وقال الزبيدي (ت١٢٠٥هـ): «التَّدَبُّر: التَّفكُّر؛ أَي: تَحْصِيل المَعْرِفَتَيْنِ لتَحْصِيل مَعْرِفةٍ ثالثة»[4].

المطلب الثاني: التدبر في اصطلاح المفسرين:

يتعدد فهْم المفسرين للتدبر، ولكن مع تعدّده يقترب بعضه من بعض، قال مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ): «هو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم ذلك»[5]، وهو عند الزمخشري (ت٥٣٨هـ): «تأمل معانيه، وتبصر ما فيه»[6]،

١) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني (٣٠/٨).

٢) لسان العرب، ابن منظور (٢٦٨/٤)، مادة (دَبَرَ).

٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم (١٨٣/١).

٤) تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزَّبيدي (٢٦٥/١١)، مادة (دَبَرَ).

٥) تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي (٣٣٥/١).

٦) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري (٥٧١/١).

وعند القرطبي (ت٦٧١هـ): «التفكر فيه وفي معانيه»[١]، وعند الخازن (ت٧٤١هـ): «تأمل معانيه، وتفكر في حكمه، وتبصرُ ما فيه من الآيات»[٢]، وعند أبي حيان (ت٧٤٥هـ): «التفكر في الآيات، والتأمل الذي يفضي بصاحبه إلى النظر في عواقب الأشياء»[٣]، وعند ابن القيم (٧٥١هـ): «تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمْع الفكر على تدبره وتعقله»[٤]، وقال الألوسي: (ت١٢٧٠هـ): «وأصل التدبر: التأمل في أدبار الأمور وعواقبها؛ ثم استعمل في كل تأمل سواء كان نظرًا في حقيقة الشيء وأجزائه، أو سوابقه وأسبابه، أو لواحقه وأعقابه»[٥].

فالتدبر عنده لم يقتصر على عواقب الأمور فحسب؛ بل امتد ليشمل حقائقها، وأسبابها، ولواحقها، وغير ذلك على وجه الإطلاق.

وقال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): «والتدبر: إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نصبت له، وأصله أنه من النظر في دُبُر الأمر؛ أي: فيما لا يظهر منه للمتأمل بادئ ذي بدء»[٦].

---

١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٩٠/٥).

٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن (٤٠٢/١).

٣) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٣٧٩/٧).

٤) مدارج السالكين بين منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ابن القيم (٤٥١/١).

٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الآلوسي (٩٢/٥).

٦) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور (٧١/١٨).

وقال أيضًا: «والتدبر: التفكر والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني، وإنما يكون ذلك في كلامٍ قليل اللفظ كثير المعاني التي أُودعت فيه، بحيث كلما ازداد المتدبر تدبرًا انكشفت له معانٍ لم تكن بادية له بادئ النظر»[1].

وقال الشيخ حبنكة: «مادة الكلمة تدور حول أواخر الأمور وعواقبها وأدبارها، فالتدبر هو النظر في عواقب الأمور وما تؤول إليه، ومن هذا نستطيع أن نفهم أن التدبر هو التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة»[2].

وقال د. خالد السبت: «النظر إلى ما وراء الألفاظ من المعاني والعبر والمقاصد، الذي يثمر العلوم النافعة والأعمال الزاكية»[3].

وجعل أركان التدبر ثلاثة: المتدبِّر، والكلام المتدبَّر، وعملية التدبر[4].

وقال د. مساعد الطيار: «التدبر هو إعمال الذهن بالنظر في آيات القرآن؛ للوصول إلى معانيها، ثم النظر إلى ما فيها من الأحكام والمعارف والعلوم والعمل»[5]، وقسَّم التدبر إلى خمس مراحل: القراءة، ثم فهم المعنى، ثم الاستنباط، ثم التأثر، ثم العمل[6].

---

١) تفسير ابن عاشور (٢٣/١٤٩).

٢) قواعد التدبر الأمثل، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص: ٤.

٣) مفهوم التدبر، تحرير وتأصيل، خالد السبت، ص: ١٦٠.

٤) المرجع السابق، ص: ١٦٥.

٥) مفهوم التدبر، تحرير وتأصيل، مساعد الطيار، ص: ٧٧.

٦) المرجع السابق، ص: ٧٨.

وقال السنيدي: «هو تفهم معاني ألفاظه، والتفكر فيما تدل عليه آياته مطابقة، وما دخل في ضمنها، وما لا يتم ذلك المعنى إلا به، مما لم يعرج اللفظ على ذكره من الإشارات والتنبيهات»[1].

وكلام السنيدي في بيان إحدى طرائق التدبر، وهي قاعدة دلالة الألفاظ، فهو ليس تعريفًا علميًّا بقدر ما هو بيان لإحدى الطرائق العملية للتدبر.

وقال السيوطي (ت٩١١هـ) شارحًا هذا المعنى بمنهج عملي أيضًا: «وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكير في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كل آية، ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مرَّ بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوذ، أو تنزيه نزَّه وعظم، أو دعاء تضرع وطلب»[2].

ومن مجموع كلامهم نخلص إلى أن التدبر يرجع إلى أمرين:

١) عميق التفكر في معاني القرآن.

٢) النظر في العواقب والمآلات القلبية والعملية لمعاني القرآن.

«فلابد للتدبر من ركنين أساسيين، باجتماعهما يتميز التدبر من غيره، وهما:

الركن الأول: الركن النظري: وهو يمثل الوقوف مع الآيات والتأمل فيها، ويدخل في هذا الركن: التفسير والاستنباط والتفكر والتأمل.

---

١) تدبر القرآن، سلمان بن عمر السنيدي، ص: ٩.

٢) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (١/٢٨٣).

الركن الثاني: الركن العملي: وهو يمثل التفاعل مع الآيات، وقصد الانتفاع والامتثال، ويدخل في هذا الركن: الاعتبار والاتعاظ والتذكر»[1].

وبناء على ماسبق يمكن صياغته بالتعريف الآتي:

التدبر: (هو عميق التفكر في معاني كلام الله تعالى وإعمال النظر في عواقبها من تأثر قلب أو عمل جوارح)[2].

وعليه يمكن تعريف (**علم التدبُّر**) بأنه: (علم شرعي يبحث في الطرائق المعينة على عميق التفكر في كتاب الله وإعمال النظر في عواقبه).

وبهذا يتضح الفرق بينه وبين التفسير؛ فالتفسير هو الكشف عن معاني القرآن، ولا يلزم منه عميق تفكير، ولا نظر في العواقب ولا تأثر.

والتفسير أساس، والتدبُّر ثمرة، أو التفسير وسيلة، والتدبُّر غاية.

فغاية التفسير: فهم المعنى، وغاية التدبر: الاهتداء.

والعامل بالقرآن: متدبِّر، ولا يقال: إنه مفسِّر.

---

١) مفهوم التدبر في ضوء القرآن والسنة وأقوال السلف وأحوالهم، الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم، ١٤٢٩هـ، محمد عبد الله الربيعة.

٢) وهو قريب من كلام أبي حيان والشيخ السعدي رحمهما الله، قال أبو حيان في تفسيره (البحر المحيط) (٣٧٩/٧) في تعريف التدبر: «هو التفكر في الآيات، والتأمل الذي يفضي بصاحبه إلى النظر في عواقب الأشياء»، وهو -كما ترى- قريب من التعريف المختار، وينقصه تأكيد معنى مزيد التأمل وعميق التفكر، وأقرب منه في التعريف تعريف الشيخ السعدي، في (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ص (١٨٩): «التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه».

وقد كنت أنوي أن أفرد المصطلحات القريبة للتدبر في مبحث، ولكني وجدتُّ كتابين رائعين كُتبا في هذا الباب، فكفياني: كتاب (التدبر حقيقته وعلاقته بمصطلحات التأويل والاستنباط والفهم والتفسير: دراسة بلاغية تحليلية على آيات من الذكر الحكيم)، للدكتور عبدالله عبدالغني سرحان، وكتاب (مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر)، للدكتور مساعد الطيار.

بل إن **الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم** أقامت الملتقى الأول لتدبر القرآن بعنوان (تدبر القرآن: تحرير وتأصيل) وكان فيه ثلاث جلسات، وستة بحوث، وعلى كل بحثٍ تعقيبان، وطبع كل ذلك في كتاب واحد بالعنوان نفسه.

ولكني سأضرب مثلًا على التفريق بين التفسير والتدبر في تطبيق عملي:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ ﴾ (القصص).

تفسيرها: أن صاحب مَدْيَن يقول لموسى عليه السلام: إنه يريد أن يزوجه إحدى ابنتيه، مقابل أن يعمل لديه ثماني سنوات، ولو أكمل عشرًا فهو فضل منه، ولن يشق عليه في العمل، وسيجده من الصالحين إن شاء الله.

وأما تدبُّرها؛ فنقول: في هذه الآية فوائد:

١) ينبغي للعاقل استثمار الفرص، فصاحب مَدْيَن شيخٌ كبير، وليس عنده إلا بنات، فكان عليه اقتناص هذه الفرصة في توظيف موسى عليه السلام.

٢) جواز خطبة الرجل لمَوْليَّتِهِ الرجلَ الصالح: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ﴾.

٣) اشتراط الولي للمرأة، فهو الذي يُنكحها، ولا تُنكِح نفسها: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ﴾.

٤) الإشارة إلى عدم الجمع بين الأختين؛ لقوله: ﴿إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ﴾.

٥) جواز النظر إلى المخطوبة؛ أخذًا من قوله تعالى: ﴿هَٰتَيۡنِ﴾ وهو اسم إشارة للقريب.

٦) يجوز أن يكون المهر عملًا، فقد استعمله في رعي الغنم عشر سنوات.

٧) جواز انتفاع الولي بمهر موليته، فقد رعى موسى عليه السلام غنم الأب.

٨) الحج موجود في شريعة مَن قبلَنا؛ من قوله: ﴿ثَمَٰنِيَ حِجَجٖ﴾.

٩) وهو عندهم سنوي أيضًا؛ لأن معنى ﴿ثَمَٰنِيَ حِجَجٖ﴾: ثماني سنوات.

١٠) صاحب مدين رجل صالح؛ لأنه يحسب السنة بالطاعة: ﴿حِجَجٖ﴾.

١١) عظم أمر الزواج؛ فهو من سنن الأنبياء، وقد اقتطع موسى لأجله عشر سنوات من عمره.

١٢) عدم المشقة على العمال؛ من قوله: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَ﴾.

١٣) استحباب تعليق أعمال المستقبل بالمشيئة؛ من قوله: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

١٤) عدم تزكية النفس؛ إذ قال: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ولم يقل: ستجدني من الصالحين.

١٥) حفظ الله ﷻ أوليائه؛ فموسى خرج هاربًا وحيدًا، فرزقه الله ﷻ زوجة وبيتًا وعملًا.

وإليك مثالًا آخرَ من الإمام ابن القيم ؒ، يقول ؒ في الرسالة التبوكية: «**فصل في** ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: فإن قلت: إنك قد أشرت إلى مقام عظيم، فافتح لي بابه، واكشف لي حجابه، وكيف تدبر القرآن وتفهمه والإشراف على عجائبه وكنوزه، وهذه تفاسير الأئمة بأيدينا، فهل في البيان غير ما ذكروه؟ قلت: سأضرب لك أمثالًا تحتذي عليها وتجعلها إمامًا لك في هذا المقصد: قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ (الذاريات).

فعهدي بك إذا قرأت هذه الآية، وتطلعت إلى معناها وتدبرتها، فإنما تطلع منها على أن الملائكة أتوا إبراهيم في صورة الأضياف، يأكلون ويشربون، وبشروه بغلام عليم، وإنما امرأته عجبت من ذلك، فأخبرتها الملائكة أن الله قال ذلك، ولم يتجاوز تدبرك غير ذلك.

فاسمع الآن بعض ما في هذه الآيات من أنواع الأسرار، وكم قد تضمنت من الثناء على إبراهيم، وكيف جمعت الضيافة وحقوقها، وما تضمنت من الرد على أهل الباطل من الفلاسفة والمعطلة، وكيف تضمنت عَلَمًا عظيمًا من أعلام النبوة، وكيف تضمنت جميع صفات الكمال التي مردُّها إلى العلم والحكمة، وكيف أشارت إلى دليل إمكان المعاد بألطف إشارة وأوضحها، ثم أفصحت بوقوعه، وكيف تضمنت الإخبار عن عدل الرب وانتقامه من الأمم المكذبة، وتضمنت ذكر الإسلام والإيمان، والفرق بينهما، وتضمنت بقاء آيات الرب الدالة على توحيده، وصدق رسله، وعلى اليوم الآخر، وتضمنت أنه لا ينتفع بهذا كله إلا من في قلبه خوف من عذاب الآخرة، وهم المؤمنون بها، وأما من لا يخاف الآخرة ولا يؤمن بها فلا ينتفع بتلك الآيات، فاسمع الآن بعض تفاصيل هذه الجملة:...»[1] إلى آخر ما قال رحمه الله.

---

١) الرسالة التبوكية، ابن القيم، ص: ٦٣، ٦٤.

المبحث الثاني

نسبة علم التدبر إلى العلوم، وموضوعه

أما نسبة علم التدبر إلى العلوم الأخرى فهو علم من العلوم الشرعية المختصة بالقرآن الكريم، والتبصر والتأمل فيه.

وموضوع التدبر هو القرآن الكريم، كما هو معلوم، وهذا ظاهر في نصوص الآيات التي توجه التدبر للقرآن الكريم؛ كما في قوله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ (النساء)، وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ (ص)، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ (محمد)، حتى في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ (المؤمنون)، ذهب المفسرون إلى أن معنى القول هو (القرآن)[١].

والمعنى في ذلك ظاهر أيضًا، فالقرآن العظيم: كلام الله تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ (التوبة:٦)، وليس كلام الله تعالى ككلام أحد، وهو محفوظ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ (الحجر)، فحتى السنة المتواترة لم تحفظ كل ألفاظها، بل روي كثير منها بالمعنى، فالتأمل فيها ليس كتدبر القرآن، فضلًا عمَّا دونها.

---

١) انظر: تفسير ابن كثير (٤٨٣/٥)، ومعالم التنزيل، للبغوي (٤٢٣/٥)، وتفسير السعدي، ص: ٥٥٤.

والقرآن قطعي الثبوت، ولم يختص كلام آخر بمثل هذا، فحتى سنة النبي ﷺ -وهي أرفع كلام البشر حفظًا- فيها الصحيح والضعيف، فما بالك بما دونها؟! ولهذا ولغيره خُص القرآن الكريم بالتدبر.

فالمطلوب هو تدبر معانيه، والتأمل في دلالاته، والنظر في أحكامه، وليس هذا لغيره من الكلام مهما بلغت منزلته، وهذا أحد أسباب شرف علم التدبر؛ إذ موضوعه أشرف الكلام، وهو كلام الله تعالى، ولا يمنع ذلك من تدبر سنة النبي ﷺ، ولكن جرت عادة العلماء أن يجعلوا للسنة: التأمل والتفكر، ويجعلوا للقرآن الكريم: التدبر.

المبحث الثالث

واضعُ علم التدبُّر

المقصود بهذا المبحث هو بيان المبتدئ بوضع علم التدبر، والحديث عن هذا المبحث من بابين:

١) وجود هذه الأصول في التدبر.

٢) إفراد هذا الفن في التصنيف.

المطلب الأول: وجود هذه الأصول:

أصول التدبر وقواعده علمٌ قديم بدأ مع نزول القرآن الكريم، فقد أمر الله ﷻ به، وأثنى على من تدبَّر كتابه: قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ (الزمر)، وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣﴾ (المائدة)، وقال ﷻ: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ٥٨﴾ (مريم)، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَۤ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗاۤ ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا۩ ١٠٩﴾ (الإسراء)، وهذا التأثُّر من قشعريرة الجلود، وفيض الدموع، والسجود، والبكاء، وزيادة الخشوع؛ كل هذا من آثار التدبر.

وهذه نماذج من تدبر النبي ﷺ:

١) من ذلك أنه ﷺ قال: «**شيَّبتني هُودٌ وأخواتها: سورة الواقعة، وسورة القيامة، والمرسلات، وإذا الشمس كورت، وإذا السماء انشقت، وإذا السماء انفطرت**»[١].

٢) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قام النبي ﷺ بآيةٍ من القرآن ليلةً[٢].

٣) وقام ﷺ ليلةً بقوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ (المائدة)؛ يرددها حتى أصبح؛ يركع بها ويسجد بها[٣].

٤) وتلا ﷺ قولَ الله ﷻ عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ (إبراهيم)، وقوله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾، فرفع يديه وقال: «**اللَّهُمَّ أمتي أمتي**»، وبكى، فقال الله ﷻ: «**يا جبريل، اذهب إلى محمدٍ -وربُّكَ أعلم- فسَلْهُ ما يبكيك؟**»، فأتاه جبريل عليه السلام فسأله،

---

١) أخرجه الترمذي (٣٢٩٧)، وعبدالرزاق الصنعاني في المصنَّف (٥٩٩٧)، وسعيد بن منصور في سننه (١١٠٩)، وابن أبي شيبه في المصنَّف (٣٠٢٦٨). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٢٢).

٢) أخرجه الترمذي (٤٤٨)، والبغوي في شرح السنة، (٤/ ٢٥)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٤٤٨).

٣) أخرجه النسائي في سننه (١٠١٠)، وسنن ابن ماجه (١٣٥٠)، ومسند أحمد بن حنبل (٢١٣٨٨). ومصنَّف ابن أبي شيبة (٣١٧٦٧). وصححه البوصيري، في مصباح الزجاجة، (١/٢٠٥)، وقال: رجاله ثقات، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٨٧٩)، وقال: «هذا حديث صحيح ولم يخرجاه»، والحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٨٩٧)، والألباني في مشكاة المصابيح (١٢٠٥).

فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم، فقال الله: «**يا جبريل، اذهب إلى محمدٍ فقل: إنَّا سنرضيك في أمتك، ولا نَسُوؤك**»[١].

٥) وقرأ عليه ﷺ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ (النساء)، فالْتفت إليه ﷺ، فإذا عيناه تذرفان[٢].

٦) وسأل سعد بن هشام عائشةَ رضي الله عنها: يا أمَّ المؤمنين، أنبئيني عن خُلُق رسول الله ﷺ؟ قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن[٣].

٧) بل قال الشافعي رحمه الله: «كل ما حكم به الرسول ﷺ فهو مما فهمه من القرآن»[٤].

وهناك أقوال وإشارات وتنبيهات من الصحابة على بعض القواعد والأصول، كما سيأتي في قصة ابن عباس رضي الله عنه مع الحَرُوريَّة[٥]،

---

١) أخرجه مسلم (٢٠٢).

٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٥٨٣)، (٥٠٥٠)، (٥٠٥٥)، ومسلم (٢٤٧).

٣) أخرجه مسلم، (١٣٩).

٤) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ص: ٩٣.

٥) ص: ٥٠.

ويقول ابن عباس رضي الله عنه أيضًا: «لأن أقرأ في ليلة سورةً أتدبَّرها، وأفكِّر فيها أحبُّ إليَّ من أن أقرأ القرآن»[1]، وكان الصحابة رضي الله عنهم من شدة اعتنائهم بالفهم والتدبر إذا تعلَّم الواحد منهم عشر آيات لم يجاوزهن، حتى يعرف معانيهن والعمل بهن؛ كما روي ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه[2].

وكان أبو طلحة رضي الله عنه أكثر الأنصار بالمدينة مالًا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيْرُحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس رضي الله عنه: فلما أُنزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٩٢﴾ (آل عمران)، قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾؛ وإن أحب أموالي إليَّ بيْرُحاء، وإنها صدقة لله، أرجو بِرَّها وذُخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**بخٍ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعتُ ما قلتَ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**»، فقال أبوطلحة: أفعل يا رسول الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه[3].

---

١) فضائل القرآن، المستغفري، (١/ ١٦١).

٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، (١/ ٨٠).

٣) أخرجه البخاري (١٤٦١).

وفي التابعين أيضًا: قال مطرف بن عبدالله (ت: ٩٥هـ)[١]: «إني لأستلقي من الليل على فراشي فأتدبَّر القرآن، وأعرض عملي على عمل أهل الجنة، فإذا أعمالهم شديدة: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ (الذاريات)، ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ (الفرقان)، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ (الزمر: ٩)، فلا أُراني فيهم فأعرض نفسي على هذه الآية: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ (المدثر)، فأرى القوم مكذِّبين، وأمرُّ بهذه الآية: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ (التوبة)، فأرجو أن أكون أنا وأنتم يا إخوتاه منهم»[٢][٣].

ومع بداية عصر التدوين كانت هذه الأصول والقواعد مبثوثة في كتب أهل العلم، ولاسيما كتب التفسير وعلوم القرآن، فقد كان علم التدبر جزءًا من التفسير.

---

١) مطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير بن عوف بن كعب بن وقدان بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ويكنى أبا عبد الله العامري، روى عن عثمان، وعلي، وأُبَي، وأبي ذر، وأبيه، روى له الجماعة، وكان ثقة، له فضل وورع ورواية وعقل وأدب، مات مطرف سنة خمس وتسعين، في أول ولاية الحجاج بن يوسف على العراق، بعد الطاعون الجارف. انظر: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، (٧/ ١٤١-١٤٥)، والتاريخ الكبير، الإمام البخاري، (٧/ ٣٩٦-٣٩٧)، وتهذيب الكمال، الإمام المزي، (٢٨/ ٦٧)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، (٤/ ١٨٧).

٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، (٢/١٩٨). وتاريخ دمشق، ابن عساكر، (٥٨/٢٩٨).

٣) وقد أجاد الباحث محمد الصاوي في بحثه (نماذج تدبر القرآن الكريم عند السلف)، في حصر تدبرات النبي ﷺ والصحابة والتابعين ومن تبعهم، وهو من بحوث المؤتمر الأول لتدبر القرآن، الذي أقامته الهيئة العالمية لتدبر القرآن في قطر.

المطلب الثاني: إفراده بالتأليف:

من أقدم من وجدتُّه استخدم هذا المصطلح هو ابن بَرَّجَان[1] في كتابه (تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات والأنباء العظام)[2]، وكتابه هذا كتاب تفسير لم يكتمل، وأكثر كلامه فيه على طريقة أرباب الأحوال والمقامات.

وفي وقتنا الحاضر لقي التدبر اعتناء لا بأس به مقارنة بالعصور السابقة، سواء على مستوى التأليف أم التدريس أم المؤتمرات والملتقيات أم إنشاء المؤسسات، وإن كان مازال قليلًا في حق هذه القضية الكبرى، وإليك هذه المؤلفات التي وقفتُ عليها، وقد رتبتها هجائيًّا:

١- إتحاف القاري بوسائل التدبر لكلام الباري، لعبدالرحمن الدهامي، طبعته مدار الوطن للنشر، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ، وهو كتاب رائع، وفيه جهد كبير.

٢- إضاءات حول تدبر القرآن، د. عبدالله بصفر، دار نور المكتبات.

٣- أفلا يتدبرون القرآن، حسن عز الدين، دار الفكر العربي في القاهرة.

٤- انشراح الصدور في تدبر سورة النور، أ.د. سليمان اللاحم، دار العاصمة، الرياض.

٥- بدائع المعاني: آيات الصيام تدبرٌ وتحليل، للدكتور عبدالمحسن بن عبدالعزيز العسكر، صادرٌ عن الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، ١٤٣٠هـ.

---

١) أبو الحكم ابن بَرّجَان: عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد اللخمي الإشبيلي، متصوف غالٍ، له كتاب عين اليقين، وشرح أسماء الله الحسنى، وغيرهما، توفي سنة (٥٣٦هـ) بمراكش، ينقل عنه ابن عطية والبقاعي في تفسيريهما كثيرًا، وهو غير محمد بن برجان التابعي الراوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه وغيره. انظر ترجمته في: لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، (٤/ ١٣-١٤)، وفوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي، (٢ /٣٢٣)، والأعلام، خير الدين الزركلي، (٤/ ٦).

٢) طبع بتحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦- تحريك الجنان لتدبر وتوقير أم القرآن، د. عصام العويد، من إصدارات الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم.

٧- تدبر القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، د. رقية طه العلواني.

٨- تدبر القرآن الكريم: مفهومه، أساليبه، أسبابه، آثاره، د. فهد الوهبي، بحث منشور في مجلة الدراسات القرآنية، الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه.

٩- تدبر القرآن، لسلمان بن عمر السنيدي، وله ملخص له في كتيب صغير، وكلاهما صدرا عن مجلة البيان، وكتاب السنيدي هو محاولة جادة في وضع لبنات علم أصول التدبر.

١٠- تدبر القرآن، الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، دار القاسم للنشر، الرياض.

١١- تدبر القرآن: تحرير وتأصيل، بحوث الملتقى الأول لتدبر القرآن، طبعته الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم.

١٢- التدبر حقيقته وعلاقته بمصطلحات التأويل والاستنباط والفهم والتفسير: دراسة بلاغية تحليلية على آيات من الذكر الحكيم، للدكتور عبدالله عبدالغني سرحان، مركز تدبر ١٤٣١هـ.

١٣- تدبر سورة الفرقان، عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق.

١٤- تدبر سورة الكهف، د. رقية العلواني.

١٥- تدبر قرآن، أمين أحسن إصلاحي، وهو تفسير بلغة الأوردو، في ثلاثة مجلدات، وجدته في مركز الملك فيصل للبحوث.

١٦- التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن، للشيخ محمد المغراوي، وقد صدر حديثًا في أربعين مجلدًا.

١٧- تعلم القرآن الكريم وتعليمه وتدبره، تأليف: أحمد حسين عبد الكريم، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، وهو من سلسلة بعنوان: (كيف يُحيي القرآن الكريم المسلمين).

١٨- تعليم تدبر القرآن الكريم، للدكتور هاشم الأهدل، صدر عن مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الشاطبي بجدة.

١٩- ثلاثون مجلسًا في التدبر، لعدة مشايخ، ثلاثة أجزاء، من إصدارات الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم.

٢٠- حتى نتدبر منهاج الله، د. عدنان علي النحوي، دار النحوي، الرياض.

٢١- الحرز الأمين في تدبر سورة الإخلاص والمعوذتين، أ.د. سليمان اللاحم، طبعته دار العاصمة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٢٢- الحياة من جديد (دعوة لتدبر القرآن)، للدكتورة أسماء الرويشد.

٢٣- الخارطة الذهنية للقرآن الكريم، سورة البقرة أنموذجًا، الطريقة الأسهل للتدبر والحفظ معًا، د. إبراهيم بن عبدالله الدويش، مركز بناء للاستشارات التربوية والتعليمية.

٢٤- دعوة إلى تدبر القرآن الكريم: كيف؟ ولماذا؟ لمختار شاكر كمال، مؤسسة الرسالة، الشركة المتحدة، بيروت.

٢٥- ربح أيام العمر في تدبر سورة العصر، أ.د.سليمان اللاحم، مقالة في مجلة جامعة الإمام، العدد: ٣٩، رجب ١٤٢٣هـ، ص: ١٦٩-١٩٨.

٢٦- ضوابط أصولية في تدبر القرآن، يوسف أحمد البدوي، مجلة الجمعية الفقهية السعودية.

٢٧- الصَّوارف عن فهم وتدبُّر القرآن الكريم، أبو العالية.

٢٨- فن تدبر القرآن، للشيخ الدكتور عصام العويد، من إصدارات مركز تدبر.

٢٩- في رحاب تدبر القرآن الكريم، مختار شاكر كمال، دار الفاروق، الأردن، ٢٠٠٩م.

٣٠- قبسات من الكتاب والسنة: تدبر وظلال، عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي، الرياض.

٣١- قواعد التدبر الأمثل للقرآن الكريم، للشيخ عبدالرحمن حَبَنَّكة الميداني، مجلد من مطبوعات دار القلم في دمشق، ذكر فيه سبعًا وعشرين قاعدة لتدبر القرآن، مرسلة من غير ترتيب، وأغلبها قواعد في التفسير، وليس في التدبر.

٣٢- كيف نتدبر القرآن، فواز زمرلي، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

٣٣- كيف ننتفع بالقرآن الكريم: (خطوة نحو تدبر أمثل)، د. أحمد البراء الأميري، مؤسسة الريان، بيروت.

٣٤- ليدبروا آياته (حلقات برنامج ليدبروا آياته)، أ.د.ناصر العمر، من إصدارات الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم.

٣٥- ليدبروا آياته (حصاد عام من التدبر)، سلسلة تصدر من الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، صدر منها حتى الآن سبعة كتب.

٣٦- مبحث جليل على آية من التنزيل، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، مطبعة المدني[1]، وهو تفسير لهذه الآية رد فيه على المؤولة في العقيدة، والمتعصبة في الفقه.

٣٧- المدخل إلى الدراسات القرآنية: مبادئ تدبر القرآن والانتفاع به، لأبي الحسن الندوي، دار الصحوة، القاهرة.

٣٨- معارج التفكر ومعالم التدبر، لعبد الرحمن الحبنكة الميداني، من إصدارات دار القلم بدمشق؛ وهو تفسير تدبري للقرآن لم يتم.

٣٩- المعين على تدبر الكتاب المبين، لمجد مكي، وهو تفسير تدبري مختصر في مجلد.

٤٠- من أجل تدبر القرآن، سلمان السنيدي، مجلة البيان، وهو اختصار كتابه السابق (تدبر القرآن)، كتبه لطلاب تحفيظ القرآن.

٤١- مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، خالد اللاحم، دار المنهاج، الرياض.

---

١) وتوجد منه نسخة في مكتبة الحرم النبوي الشريف.

٤٢- مفهوم التدبر: تحرير وتأصيل (أوراق عمل الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم) الذي نظمه مركز تدبر في الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

٤٣- مفهوم التدبر في ضوء الدراسة التحليلية لآياته في القرآن، د. محمد بن زيلعي هندي، صدر عن معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، بحث محكّم.

٤٤- فن التدبر القرآن الكريم، للشيخ د. عصام العويد، من إصدارات مركز تدبر، الرياض.

٤٥- مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، للدكتور مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٢٧هـ.

٤٦- مناهج معاصرة للتدبر، نايف الزهراني.

٤٧- منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في تدبر القرآن، لمحمد آل عابد، دار الطرفين.

٤٨- منهج تدبر القرآن الكريم، أ.د. حكمت بن بشير ياسين، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، وهو كتاب ذكر فيه وسائل التدبر فقط.

٤٩- نفائس التدبر، جمال إبراهيم القرش، الدار العالمية للنشر والتوزيع.

هذا ما وجدته من الكتب المطبوعة التي حوت عناوينها على لفظة التدبر[1]، وقد يكون فاتني بعضها.

وبعد الانتهاء من تأليف الكتاب، وفي المراجعات الأخيرة له، طُبع كتابان مهمَّان؛ أولهما في التنظير لعلم التدبر، والثاني في التطبيق، وهما:

٥٠- تدبر القرآن الكريم، رسالة ماجستير للشيخ عبداللطيف التويجري، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٣٦هـ.

٥١- القرآن: تدبر وعمل، إعداد مركز المنهاج، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.

---

١) وهناك مقالات كثيرة حول تدبر القرآن، ولكن لم أضعها لقلة المادة العلمية، ولعدم خروجها عن الكتب السابقة، مثل: في تدبر القرآن، مقال لمحمد شاكر الشريف، في مجلة البيان العدد ٢٦٥، ص: ٣٨، وتدبر القرآن، للدكتور محسن عبدالناظر، مقال في النشرة العلمية للكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين، ورسائل علمية، مثل (منهجية التدبر في القرآن الكريم وتطبيقاتها في مجال التربية العقلية لطالبات المرحلة الثانوية)، ولكن هذه الرسالة في جانب تربوي تطبيقي، وأغلب هذه المقالات والرسائل موجودة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض.

المبحث الرابع

حكم الشرع في التدبر

تدبر القرآن واجبٌ في الجملة على أهل الإيمان[1]، وهم مأمورون به؛ لأنهم أهل الانتفاع، وكلٌّ واحدٍ منهم بحسب قدراته وطاقاته الإدراكية القابلة للاكتساب والزيادة، فلا يُعذر أحد بعدم التدبر.

وقد دل على ذلك سياق الآية الكريمة: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ (ص:٢٩)، حيث أنَّ فيها قراءتين:

القراءة الأولى، وهي قراءة الجمهور، بإدغام التاء في الدال[2]. وفيه بيان علة إنزال هذا الكتاب، وأن الهدف من إنزاله هو تلاوته وتدبره[3]، وتوجيه الأمر إلى عموم الناس لا يفيد بأن الأمر منصرف عنه ﷺ، بل إن الأمر بالتدبر موجه إليه ﷺ ابتداءً؛ إذ هو المبلِّغ لكلام الله، فهو داخل في الأمر ابتداءً، ولقد كان عليه الصلاة والسلام في غاية التدبر والتفكر لكتاب الله تعالى[4].

والقراءة الثانية: {لتدَبَّرُوا} قال الطبري: (ت٣١٠هـ): «وقراءة أبي جعفر وعاصم: (لتَدَبَّرُوا آياته) بالتاء، بمعنى: لتتدبره أنت يا محمد وأتباعُك»[5]،

---

١) وسيأتي مزيد تفصيل في بعض أنواع التدبر. (انظر: مبحث جليل على آية من التنزيل، الشنقيطي، ص: ٤ و ٥).

٢) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، (٢/ ٤٠١).

٣) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، (٧/ ٣٨٧).

٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، (٦/ ٣٨٢).

٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، (٢١/ ١٩٠). والمبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين النيسابوريّ، ص: ٣٨٠.

وقال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): «وقرأ أبو جعفر: (لِتَدَبَّروا) بتاء الخطاب وتخفيف الدال، وأصلها: (لتَتَدَبَّروا)؛ فحُذفت إحدى التاءين اختصارًا، والخطاب للنبي ﷺ ومن معه من المسلمين»[1].

وفي هذه القراءة أيضًا بيان اشتراك الأمة في التوجيه الرباني إلى أن تتدبر كتاب ربها سبحانه وتعالى، فهي مقصودة بالتدبر مخاطبة به.

وقال الشوكاني (ت١٢٥٠هـ): «وفي الآية دليل على أن الله إنما أنزل القرآن للتدبر والتفكر في معانيه، لا لمجرد التلاوة بدون تدبر»[2].

بل إن التدبر المأمور به في القرآن عام؛ يشمل المنافقين، والكفار، والمؤمنين؛ فالآيات نزلت ابتداءً في المنافقين والكفار.

أما المنافقون: فقد وردت آيتان تأمرانهم بالتدبر؛ وهما قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ (النساء)، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ (محمد)، وفي سياق هاتين الآيتين يقول الطبري (ت٣١٠هـ): «أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يَعِظُهم بها في آي القرآن الذي أنزله على نبيه، عليه الصلاة والسلام، ويتفكرون في حُججه التي بيَّنها لهم في تنزيله؛ فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون، ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾؛ يقول: أم أقفل الله على قلوبهم؛ فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعبر... إذ والله يجدون في القرآن زاجرًا عن معصية الله، لو تدبره القوم فعقلوه، ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا عند ذلك»[3].

---

١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (٢٣/ ١٤٩).

٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، (٤/٥٦٧).

٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن، ابن جرير، (٢٢/ ١٧٩).

وقال السعدي: «أي: فهلَّا يتدبَّر هؤلاء المعرضون لكتاب الله، ويتأملونه حق التأمل، فإنهم لو تدبروه لدلَّهم على كل خير، ولحذَّرهم من كل شرّ، ولملأ قلوبهم من الإيمان، وأفئدتهم من الإيقان، ولأوصلهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية، ولبيَّن لهم الطريق الموصلة إلى الله، وإلى جنته ومكملاتها ومفسداتها، والطريق الموصلة إلى العذاب، وبأي شيء يحذر، ولعرَّفهم بربهم، وأسمائه وصفاته وإحسانه، ولشوقهم إلى الثواب الجزيل، ورهبهم من العقاب الوبيل»[١].

وأما الكفار: فكذلك وردت فيهم آيتان، تأمرانهم بالتدبُّر؛ وهما قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ (المؤمنون)، وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ (ص)، قال الطبري: «أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تنزيل الله وكلامه، فيعلموا ما فيه من العبر، ويعرفوا حجج الله التي احتج بها عليهم فيه، ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أم جاءهم أمر ما لم يأت مَن قبلَهم مِن أسلافهم، فاستكبروا ذلك وأعرضوا، فقد جاءت الرسل من قبلهم، وأُنزلت معهم الكتب»[٢].

وقال الآلوسي (ت١٢٧٠هـ): «﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ الهمزة لإنكار الواقع واستقباحه، والفاء للعطف على مقدَّرٍ ينسحبُ عليه الكلام؛ أي: أَفَعَلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر، فلم يتدبروا القرآن ليعلموا -بما فيه من وجوه الإعجاز- أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به، و﴿أَمْ﴾ في قوله تعالى:

---

١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، ص: ٧٨٨.

٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، (١٩/ ٥٦).

﴿أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ منقطعة، وما فيها من معنَى (بل) للإضراب والانتقال من التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بآخر، والهمزة لإنكار الوقوع لا لإنكار الواقع؛ أي: بل أجاءهم من الكتاب ما لم يأت آباءهم الأولين حتى استبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال»[١].

وقال الشوكاني: «بيّن سبحانه أن سبب إقدامهم على الكفر هو أحد هذه الأمور الأربعة: الأوّل: عدم التدبر في القرآن؛ فإنهم لو تدّبروا معانيه لظهر لهم صدقه وآمنوا به وبما فيه ...»[٢].

وقال السعدي: «أي: أفلا يتفكرون في القرآن ويتأملونه ويتدبرونه، فإنهم لو تدبروه لأوجب لهم الإيمانَ ولمنعهم من الكفر، ولكن المصيبة التي أصابتهم بسبب إعراضهم عنه»[٣].

فإن كان التدبر قد أمر به المنافقون والكافرون؛ فالمؤمنون به أولى وأحرى، وتارك التدبر داخل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾ (الفرقان)؛ قال الإمام ابن كثير: «وترك تدبره وتفهمه من هجرانه»[٤].

ولكن المؤمنين ينقسمون في التدبر إلى أربعة أنواعٍ بحسب المتدبِّر[٥]:

---

١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي (١٨/ ٥٠).

٢) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، (٣/ ٦٦٩).

٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ص: ٥٥٤.

٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٦/ ١٠٨)، وانظر كلام ابن القيم في أنواع هجر القرآن، الفوائد، ص: ٢٨.

٥) انظر: تدبر القرآن، تحرير وتأصيل، ص:١٨٥، وبحث (قواعد في تدبر القرآن الكريم، لمحمد كالو، ص:١٣)؛ أحد بحوث المؤتمر الأول للهيئة العالمية لتدبر القرآن.

١- **تدبر عامة المسلمين:**

والمقصود به نظرهم في القرآن، وفهمهم ما يمكن فهمه والعمل به؛ وهذا أمر واجب على كل الأمة، بحسب الطاقة، وقدر الاستطاعة، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

٢- **تدبر العلماء:**

والمقصود به نظرهم في القرآن بحسب ما أوتوا من علوم شرعية ولغوية، تعطيهم قدرة أكبر على الفهم والاستنباط والنظر؛ ليستخرجوا كنوزه، ويعملوا بها ويبلغوها؛ وهذا واجب على أهل العلم، فهو فرض كفاية.

٣- **تدبُّر أهل التخصُّص**: وذلك أن كل متخصِّص في فن أو علم، كاللغة، والطب، والسياسة، وغيرها يستنبط من القرآن وقفات تدبُّرية لا يجدها غيره؛ لأن تخصُّصه يفيده في إبراز بعض المعاني.

٤- **تدبُّر أهل الإيمان:**

وهو التدبُّر الذي يحصل لأهل الإيمان، وأصحاب التقوى والزهد والورِع، وهو ما يحصل لكثير من المسلمين في أوقات الصفا، وارتفاع الإيمان، والخلوات مع رب السماوات، وعندما تتأمل بعض استنباطات العلماء في التفسير تجد أنها فتح من الله تعالى وتوفيق، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «قد فتح الله عليَّ في هذا الحصن في هذه المرة من معاني القرآن، ومن أصول العلم بأشياء كان كثير من العلماء يتمنونها، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن»[1].

---

١) ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي، (١/ ٣٤٤).

ويقول ابن عبدالهادي في حديثه عن شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولقد سمعته في مبادئ أمره يقول: إنه ليقف خاطري في المسألة والشيء، أو الحالة التي تشكل عليَّ، فأستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل حتى ينشرح الصدر، وينحل إشكال ما أشكل»[1].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله بعد سرده فوائد سورة (الكافرون) وأسرارها: «فهذا ما فتح الله العظيم به من هذه الكلمات اليسيرة، والنبذة المشيرة، إلى عظمة هذه السورة وجلالتها، ومقصودها وبديع نظمها، من غير استعانة بتفسير، ولا تتبع لهذه الكلمات من مظان توجد فيه، بل هي استملاء مما علمه الله، وألهمه بفضله وكرمه، والله يعلم أني لو وجدتها في كتاب لأضفتها إلى قائلها، ولبالغت في استحسانه»[2].

وهذا القسمُ مستحب، وليس واجبًا؛ فالناس ليسوا على وِزان واحدٍ في الإيمان.

---

١) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، محمد بن أحمد بن عبد الهادي، ص: ٢١- ٢٢.

٢) بدائع الفوائد، ابن القيم، (١/ ١٤٨-١٤٩).

المبحث الخامس

فضل علم التدبر

قال ابن القيم رحمه الله: «وأما التأمل في القرآن فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبّره وتعقله، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبّر؛ قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ (ص)، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ (محمد)، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ (المؤمنون)، وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ (الزخرف)، وقال الحسن: «نزل القرآن ليُتَدبَّر ويُعمل به؛ فاتخذوا تلاوته عملًا!».

فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته، من تدبّر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته؛ فإنها تُطلِع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما، وعلى طرقاتهما وأسبابهما، وغاياتهما وثمراتهما، ومآل أهلهما، وتَتُلُّ في يده مفاتيح كنوز السعادة، والعلوم النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيد بنيانه، وتوطد أركانه، وتريه صورة الدنيا والآخرة، والجنة والنار في قلبه، وتحضره بين الأمم، وتريه أيام الله فيهم، وتبصره مواقع العبر، وتُشهِده عدلَ الله وفضله، وتعرِّفه ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله، وما يحبه وما يبغضه، وصراطه الموصل إليه، وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه،

وقواطع الطريق وآفاتها، وتعرِّفه النفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصححاتها، وتعرِّفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم، وأحوالهم وسيماهم، ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه، وافتراقهم فيما يفترقون فيه.

وبالجملة: تعرِّفه إلى الربَّ المدعوَّ إليه، وطريق الوصول إليه، وما له من الكرامة إذا قدم عليه، وتعرِّفه في مقابل ذلك ثلاثةً أخرى: ما يدعو إليه الشيطان، والطريق الموصلة إليه، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه؛ فهذه ستة أمور ضروري للعبد معرفتها، ومشاهدتها ومطالعتها...»[١].

إذن ففضائل هذا العلم كثيرة، وهي في مجملها ترجع إلى فضائل القرآن الكريم نفسه؛ فمن ذلك:

١- الامتثال لأمر الله تعالى في قوله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾.

٢- أن التدبر هو المقصود الأعظم من تنزيل القرآن العظيم؛ قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (ص).

٣- الخروج من حال الذين على قلوبهم أقفال: ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ (محمد)، قال ابن القيم: «ومفتاح حياة القلب: تدبر القرآن، والتضرع بالأسحار، وترك الذنوب»[٢].

---

١) مدارج السالكين بين منازل ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، ابن القيم، (١/ ٤٥١ - ٤٥٢).

٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم، ص: ٤٨.

٤- التدبر من الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى، وقد عدَّ ابن القيم عشرة أسباب جالبة لمحبة الله تعالى وموجبة لها، وجعل أولها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به[١].

٥- أن التدبر نوع مهم من تعلم القرآن، والذي به تنال الخيرية والأفضلية التي بيَّنها رسول الله ﷺ في قوله: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[٢]، والتدبر جزء من التعلم.

٦- التدبر من النصيحة لكتاب الله تعالى الواردة في حديث تميم الداري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدين النصيحة**»، قلنا: لمن؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[٣]، قال ابن رجب: «أما النصح لكتاب الله: فشدة حبه وتعظيم قدره؛ إذ هو كلام الخالق، وشدة الرغبة في فهمه، وشدة العناية لتدبره...»[٤].

٧- التدبر من المدارسة التي تنال بها الفضائل التي ذكرت في هذا الحديث العظيم؛ قال ﷺ: «**وما اجتمع قومٌ في بيتٍ مِن بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمَن عنده**»[٥].

---

١) مدارج السالكين بين منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ابن القيم، (٣/ ١٧-١٨).

٢) أخرجه البخاري، (٥٠٢٧).

٣) أخرجه مسلم (٩٥).

٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، (١/ ٧٩-٨٠).

٥) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

٨- الاستغناء بالقرآن عن غيره؛ قال ﷺ: «**ليس منا من لم يَتَغَنَّ بالقرآن**»[١]، وللعلماء في شرح الحديث تفسيران[٢]: أحدهما: أن معناه: ليس منا من لم يستغنِ بالقرآن عن غيره، وهو في ذلك بمعنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ (الحجر)؛ أي: من كان معه القرآن العظيم فقد أُعطي أعظم نعمة، فلا يليق به أن يلتفت إلى متاع الدنيا[٣]، وهذا الاستغناء بالقرآن أعظم ما يحققه تدبر القرآن الكريم.

٩- الاقتداء بالرسول ﷺ في تدبر كتاب الله تعالى، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يرددها، والآية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ (المائدة)»[٤].

١٠- التدبر من صفات أهل العلم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المطلوب من القرآن هو فهم معانيه والعمل به، فإن لم تكن هذه همَّةَ حافظِه لم يكن من أهل العلم والدين»[٥].

---

١) أخرجه البخاري (٧٥٢٧).

٢) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (٩/ ٦٩).

٣) انظر: ليدبروا آياته، (ص: ٣١٥).

٤) أخرجه النسائي في سننه، (١٠١٠) وابن ماجة في سننه (١٣٥٠)، والإمام أحمد في مسنده (٢١٣٨٨)، وابن أبي شيبة في مصنَّفه (٣١٧٦٧). وصححه البوصيري، في مصباح الزجاجة، (١/ ٢٠٥)، وقال: (رجاله ثقات). وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٨٧٩)، وقال: (هذا حديث صحيح، ولم يخرجاه)، وصححه الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٨٩٧). والألباني في مشكاة المصابيح (١٢٠٥).

٥) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٢٣/ ٥٥).

قال الإمام ابن القيم في النونية:

فتدَبَّـــرِ القـــرآنَ إن رُمــتَ الهــدى　　　فالعلـــمُ تحـــتَ تدبُّـــرِ القـــرآنِ[١]

١١- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله بعقله، وتدبر بقلبه، وجد فيه من الفهم والحلاوة والهدى وشفاء القلوب، والبركة والمنفعة، ما لا يجده في شيء من الكلام، لا منظومِهِ ولا منثورِهِ»[٢].

١٢- إدراك لذة القرآن؛ قال الزركشي رحمه الله (ت:٧٩٤هـ): «من لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبر، لم يدرك من لذة القرآن شيئًا»[٣].

١٣- التدبُّر دواء للقلب من أمراضه؛ قال إبراهيم الخوَّاص رحمه الله (ت:٢٩١هـ): «دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين»[٤]. وقال الإمام ابن القيم: «إذا مرَّ -متدبر القرآن- بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مئة مرة ولو ليلة؛ فقراءة آية بتفكر وتفهّم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهّم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان، وذوق حلاوة القرآن»[٥].

---

١) متن القصيدة النونية، ابن القيم، (٢/ ٤٦).

٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، (١/ ٢٨٤).

٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (٢/ ١٥٥).

٤) التبيان في آداب حملة القرآن، الإمام النووي، ص: ٦٧.

٥) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم، (١/ ١٨٧).

١٤- الاقتداء بخير القرون من الصحابة والتابعين في اعتنائهم الاعتناء الفائق بكتاب الله وتدبره؛ فعلى سبيل المثال: جاء في صحيح مسلم[1]: عن كعب بن عجرة رضي الله عنه، أنه دخل المسجد وعبد الرحمن بن أم الحكم يخطب قاعدًا فقال: انظروا إلى هذا الخبيث، يخطب قاعدًا، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ (الجمعة: ١١). وهذا استنباط رائع يرجعه العلماء إلى قاعدة دلالة الألفاظ في باب دلالة الإشارة.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: لَمَّا خرجت الحَرُوريَّة، اعتزلوا في دارٍ على حدتهم، وكانوا ستة آلاف، فقلت لعلي: يا أمير المؤمنين، أبرِد بالصلاة لعلِّي أكلم هؤلاء القوم. قال: إني أخافهم عليك. قلت: كلا إن شاء الله، فلبِستُ أحسنَ ما يكون من حُلَل اليمن، وترجَّلتُ، ودخلتُ عليهم في دارٍ نصفَ النهار وهم قائلون في نحر الظهيرة، فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباس، فما هذه الحُلَّة؟ قلتُ: ما تَعِيبون عليَّ؟ لقد رأيتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ ما يكون من الحُلَل، ونزلت: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ (الأعراف: ٣٢).

قالوا: فما جاء بك؟ قلتُ لهم: أتيتكم من عند أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: المهاجرين والأنصار، ومن عند ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وصهره، وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأوِيله منكم، وليس فيكم منهم أحدٌ؛ لأبلغكم ما يقولون، وأبلغهم ما تقولون. فقال بعضهم: لا تُخاصِموا قريشًا؛ فإن الله يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾ (الزخرف).

---

١) أخرجه مسلم (٨٦٤).

قال ابن عباس: وما أتيتُ قومًا قطُّ أشد اجتهادًا منهم، مُسهِمة وجوههم من السهر، كأن أيديهم وركبهم تثنى عليهم، فمضى مَن حضر. فقال بعضهم: لنُكَلِّمنَّه ولننظرنَّ ما يقول. قلت: هاتوا ما نقمتم على أصحاب رسول الله ﷺ وابن عمه. قالوا: ثلاث. قلت: ما هن؟ قال: أما إحداهن، فإنه حكَّم الرجال في أمر الله، وقال الله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ (الأنعام: ٥٧)، ما شأن الرجال والحكم؟! قلتُ لهم: أرأيتكم إن قرأتُ عليكم من كتاب الله ﷻ وسنَّة نبيِّه ﷺ ما يردُّ قولكم، أترجعون؟ قالوا: نعم. قلتُ: أمَّا قولكم: حكَّم الرجال في أمر الله، فإني أقرأ عليكم في كتاب الله أن قد صيَّر حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم؛ فأمر الله تبارك وتعالى أن يحكموا فيه، أرأيتم قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ (المائدة: ٩٥)، وكان من حُكْمِ الله أنه صيَّره إلى الرجال يَحكُمون فيه، ولو شاء حكَم فيه، فجاز من حكم الرجال، أنشدكم بالله: أحُكم الرجال في صلاح ذات البين وحقن دمائهم أفضل، أو في أرنب؟ قالوا: بلى؛ بل هذا أفضل. وقال في المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ (النساء: ٣٥)، فنشدتكم بالله حكم الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بُضع امرأة؟ قالوا: اللَّهُمَّ بل في حقن دمائهم وإصلاح ذات بينهم. قال لهم: خرجت من هذه؟! قالوا: نعم...

وفي آخرها: فرجع منهم ألفان، وخرج سائرهم فقُتِلُوا على ضلالتهم، قتَلَهم المهاجرون والأنصار[1].

وهذا من ابن عباس رضي الله عنهما استدلالٌ بدليل الأَوْلى -إحدى دلالات قاعدة دلالة الألفاظ- ومثل هذا كثيرٌ من قصص الصحابة والتابعين. وغير ذلك من الفضائل.

١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، (٨٥٧٥)، والبيهقي السنن الكبرى، (١٦٧٤٠)، وعبدالرزاق في مصنفه، (١٨٦٧٨)، والطبراني في المعجم الكبير، (١٠٥٩٨)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، (٢٦٥٦)، وقال: (على شرط مسلم، ولم يخرجاه)، ووافَقَه الذهبي، وصحَّحه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٤٥١).

المبحث السادس

ثمرة التدبر

ثمرة علم التدبر هي أعظم ثمرة؛ فالإنسان يسعى إلى السعادة في جميع شؤونه الروحية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وغيرها من جوانب الحياة، ولا يوجد كتاب يفي بجميع هذه المتطلبات، ويهدي لأحسنها إلا القرآن الكريم؛ كما قال سبحانه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٣٨)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: ٩)، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (الزمر)، وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ (الإسراء).

ولقد صنف العلماء في الإعجاز التشريعي في القرآن ما يجلي هذا ويقرره.

والإنسان إنما خلق في هذه الحياة ليحقق العبادة؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ (الذاريات)، وبيان العبادة على أكمل وجه إنما هو في القرآن.

هذا من جهة العموم، وأما على وجه الخصوص **فمقاصد قراءة القرآن خمسة**[1]:

١. **الثواب:**

فكل حرف من القرآن في قراءته عشر حسنات، وتتنزل الرحمات: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ (الأنعام)، ويحصل الثبات: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (الفرقان: ٣٢)، كل ذلك وغيره من الثواب العظيم[2].

---

١) مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، د.خالد بن عبد الكريم اللاحم، ص: ٦.

٢) وقد أفرد العلماء (فضائل القرآن) بمؤلفات خاصة، مثل: فضائل القرآن لابن كثير وغيره، وكان أصحاب الحديث يفردونه بباب في مؤلفاتهم، مثل: كتاب فضائل القرآن في صحيح البخاري.

٢. المناجاة:

أخرج البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**ما أذِن الله لشيء ما أذِن لنبي حسن الصوت يجهر بالقرآن**»[١]، ومعنى: «أذِن» أي: استمع.

وأخرج ابن ماجه، عن فضالة بن عبيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لله أشد أذنًا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة إلى قينته**»[٢]، وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن البياضي أن رسول الله ﷺ خرج على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة فقال: «**إن المصلي يناجي ربه** عز وجل **فلينظر ما يناجيه، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن**»[٣]، وعن عبد الله بن المبارك قال: سألت سفيان الثوري، قلت: الرجل إذا قام إلى الصلاة أي شيء ينوي بقراءته وصلاته؟ قال: «ينوي أنه يناجي ربه»[٤].

هـذا الكتـاب الذي مـن قـام يقـرؤه ... كأنمـا خاطـب الرحمـن بالكلـمِ

٣. الشفاء:

في القرآن الشفاء من جميع الأمراض: البدنية، والنفسية، والمعنوية؛ كالسحر والعين والمس، وأمراض القلوب، كمرض الشبهات ومرض الشهوات؛ قال تعالى:

---

١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧٥٤٤)، ومسلم (٧٩٢).

٢) سنن ابن ماجه (١٣٤٠).

٣) مسند أحمد بن حنبل (١٩٠٢٢)، وصححه أحمد شاكر.

٤) تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر المروزي، (ج: ١/ ١٩٩).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ (يونس)، قال ابن كثير: «﴿وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾، أي: من الشُّبَه والشكوك، وهو إزالة ما فيها من رجس ودَنَس، ﴿وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ﴾؛ أي: محصلٌ لها الهداية والرحمة من الله تعالى، وإنما ذلك للمؤمنين به، والمصدقين الموقنين بما فيه»[1].

٤. الازدياد في العلم:

والقرآن ينبوع العلوم، ومن كثرة علومه أفرد العلماء فنًّا خاصًّا ليتتبعها وهو (علوم القرآن)، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إذا أردتم العلم فانثروا هذا القرآن؛ فإن فيه علم الأولين والآخرين» اهـ[2]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «تعلَّم عمر بن الخطاب رضي الله عنه البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلما أتمها نحر جزورًا»[3]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والمقصود أن القرآن مَن تدبَّره تدبُّرًا تامًّا تبين له اشتماله على بيان الأحكام، وأن فيه من العلم ما لا يدركه أكثر الناس، وأنه يبين المشكلات، ويفصل النزاع بكمال دلالته وبيانه إذا أُعطِيَ حقَّه، ولم تُحرَّف كَلِمُهُ عن مواضعه»[4].

وقال الإمام ابن القيم في النونية:

فتدبَّرِ القــرآنَ إن رُمــتَ الهــدى ... فالعلــمُ تحــتَ تدبُّــرِ القــرآنِ

---

١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤/ ٢٧٤).

٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٠١٨)، بلفظ: «من أراد العلم فليقرأ القرآن»، والطبراني في الكبير (٨٦٦٦)، بلفظ: «من أراد العلم فليثور القرآن...» والبيهقي في شعب الإيمان، (٢/ ٣٣٢)، بلفظ: «من أراد العلم فعليه بالقرآن...».

٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٩٥٧)، من طريق مالك بن أنس، عن نافع. وإسناده صحيح.

٤) جامع المسائل لابن تيمية، (١/ ٢٥٦).

وقال السيوطي رحمه الله: «وإن كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء وأبان فيه كل هدي وغي...»[1].

٥. العمل[2]:

قال ﷻ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾ (الأعراف)، وهو الثمرة الكبرى من الكتاب، قال الحسن البصري رحمه الله: «وإنما تدبُّرُ آياته: إِتْبَاعُه بعَمَلِه»[3].

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تَقْدُمُهُ سورة (البقرة) و (آل عمران)**»، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال، ما نسيتهن بعد، قال: «**كأنهما غمامتان، أو ظلتان سوداوان بينهما شرق**[4]**، أو كأنهما حِزْقان**[5] **من طير صواف؛ تحاجان عن صاحبهما**»[6]، وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ:

---

١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (١/ ١٨).

٢) وللشيخ أ.د.سعود الفنيسان بحث جيد بعنوان (التدبر مفتاح العلم وباب العمل) وهو مطبوع مع بحوث ملتقى (تدبر القرآن: تحرير وتأصيل)، طبعته الهيئة العالمية لتدبر القرآن.

٣) شعب الإيمان، البيهقي، (٢/ ٥٤١).

٤) شرق: الضَّوءُ وهو الشمس. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، (٢/ ١١٤٣).

٥) الحِزْق والحَزِيقَة: الجماعة من كل شيء. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، (١/ ٩٤٨).

٦) أخرجه مسلم (٨٠٥).

«أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فعلمنا العلم والعمل»[1].

قال الإمام البخاري رحمه الله: «باب قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾؛ قال ابن عباس: ﴿قَرَأْنَاهُ﴾ بَيَّنَّاه، ﴿فَاتَّبِعْ﴾ اعمل به»[2].

وقال الحسن البصري: «واللهِ ما تدبُّرُه بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قرأت القرآن كلَّه، وما يُرى له القرآن في خُلق ولا عمل»[3].

وهذه المقاصد الخمسة كلها تتحقق بتدبُّ كتاب الله.

---

١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (٢٣٤٨٢)، وقال شعيب الأرناؤوط: (إسناده حسن).

٢) صحيح البخاري، الإمام البخاري، (٦/ ١٦٣).

٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤/ ٤٣).

المبحث السابع
مسائل علم التدبر واستمداده

أصدرت الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم سلسلة مهمة جدًّا بعنوان: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾، صدر منها ثماني مجموعات، وهي محاولة رائعة لحصر تدبر العلماء العملي لآيات القرآن الكريم، ففي كل مجموعة منها أكثر من خمس مئة وقفة تدبرية من علماء وطلبة علم من السابقين والمعاصرين.

وقد قمت بقراءة هذه الكتب قراءة فاحصة ومتأنية؛ لأنظر الطرائق والأساليب التي ينتهجها العلماء في تدبر الآيات؛ وجعلتها في جداول وملفات لكل أصل، وحاولت أن أفرز كل وقفة في مكانها في الجدول، فوجدت أنها ترجع إلى أربعة أصول:

الأول: دلالات الألفاظ.

الثاني: الوحدة الموضوعية للسورة.

الثالث: علم المناسبات.

الرابع: دلالة اللغة بجميع علومها.

فهذه هي أصول تدبر القرآن، وإذا أضفنا إلى هذه الأصول مبادئ هذا العلم؛ نكون قد حصرنا جميع مسائل التدبر إن شاء الله تعالى.

ولعلِّي أفرد لكل نوع من هذه الأصول بحثًا مستقلًّا إن يسر الله تعالى وأعان.

وأما استمداد علم التدبر فمن عدة علوم؛ منها:

- علم التفسير.

- أصول التفسير.

- علوم القرآن.

- علوم اللغة العربية.

- أصول الفقه.

الفصل الثاني
أسباب التدبُّر وموانعه

المبحث الأول:

الأسباب المعينة على التدبر، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأسباب المعنوية.

المطلب الثاني: الأسباب الحسية.

المبحث الثاني:

موانع التدبر، وفيه مطلبان:

المطب الأول: الموانع المعنوية.

المطلب الثاني: الموانع الحسية.

المبحث الأول
الأسباب المعينة على التدبر

ينبغي التنبه إلى أن أسباب التدبُّر، وكذلك موانعه، تختلف باختلاف الناس والزمان والمكان، فلكل مقام مقال، ولكل قوم حال، فليس المقصود هنا حصر كل الأسباب والموانع، بل التنبيه على أصولها، ويبقى أن كل امرئ بصير نفسه.

والأسباب المعينة على التدبر نوعان؛ حسية ومعنوية، والمعنوية أهم وأخطر:

المطلب الأول: الأسباب المعنوية:

١- تعظيم كلام الله تعالى وحبه[١]:

«وخير الأسباب وأنفعها لحب القرآن هو القراءة عن عظمة القرآن مما ورد في القرآن والسنة وأقوال السلف في تعظيمهم للقرآن وحبهم له»[٢]، وقال ابن قدامة (ت٧٤٢هـ): «وليعلم القارئ أن ما يقرؤه ليس من كلام بشر، وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه، ويتدبر كلامه؛ فإن التدبر هو المقصود من القراءة»[٣].

وفسّر الإمام البخاري رحمه الله قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ (الواقعة) بقوله: «﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾: لا يجد طعمه ونفعه إلا مَن آمن بالقرآن، ولا يحمِلُه بحَقِّه إلا المُوقِن»[٤].

---

١) انظر: كيف نتدبر القرآن، زمرلي، ص:٤١، والمدخل إلى الدراسات القرآنية، الندوي، ص:١٤٥.

٢) انظر: بحث تدبر القرآن الكريم، الغشمي، ضمن بحوث المؤتمر الأول للهيئة العالمية لتدبر القرآن، ص: ١٨.

٣) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي، (١/ ٤٤).

٤) صحيح البخاري، (٩/ ١٥٥).

وقال الحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣هـ): «فإذا عَظُمَ في صدرك تعظيمُ المتكلِّم به، لم يكن عندك شيء أرفع ولا أشرف ولا أنفع ولا ألذ ولا أحلى من استماع كلام الله ﷻ، وفهم معاني قوله؛ تعظيمًا وحبًّا له وإجلالًا؛ إذ كان تعالى قائله، فحبُّ القولِ على قدر حب قائله»[١].

٢- الإخلاص[٢]:

فالإخلاص مفتاح التوفيق والتسديد والإعانة، وصحةُ التدبر مرهونة بسلامة القلب[٣]؛ قال الخازن في تفسيره: «وتدبر القرآن لا يكون إلا مع حضور القلب، وجمع الهم وقتَ تلاوته، ويشترط فيه تقليل الغذاء من الحلال الصِّرف، وخلوص النية»[٤]، وفي ذلك يقول ابن تيمية (٧٢٨هـ): «من تدبر القرآن طالبًا الهدى فيه تبين له طريق الحق»[٥].

٣- الدعاء[٦]:

الدعاء من أهم مفاتيح فهم القرآن ووعيه، فمهما بذل الإنسان من وسائل،

---

١) فهم القرآن ومعانيه، الحارث المحاسبي، تحقيق: حسين القوتلي، بيروت: دار الكندي، دار الفكر، ١٣٩٨هـ، ط٢، ص: ٣٠٢.

٢) انظر: كيف نتدبر القرآن، زمرلي، ص: ٥٨، ومفهوم التدبر، ص: ١١.

٣) تدبر القرآن: تحرير وتأصيل، ص: ١١٧.

٤) لباب التأويل في معاني التنزيل، تفسير الخازن، تحقيق وتصحيح: محمد علي شاهين، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، ط١، (٤/ ١٤٧).

٥) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، محمد خليل هراس، السعودية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، ط١، ص: ١٩٢.

٦) انظر: بحث تدبر القرآن الكريم، الغشمي، ضمن بحوث المؤتمر الأول للهيئة العالمية لتدبر القرآن، ص: ١١.

ومهما اتخذ من طرائق، ومهما توافرت لديه الإمكانات البشرية والمادية، ومهما اجتهد فلن يظفر بمراده إذا لم يُعنه مولاه سبحانه وتعالى، فليدْعُ العبد ربَّه أن يرزقه العيش في رحاب القرآن، وأن ييسر له فهم آياته وألفاظه، وأن يجعله ربيعًا لقلبه وفؤاده، و «بعض الناس لا يعرف الإلحاح إلا في مطالبه الدنيوية المادية، أما الأمور الدينية فتجد سؤاله لها باردًا باهتًا»[١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مئة تفسير، ثم أسأل الله الفهم، وأقول: يا معلم آدم وإبراهيم علمني. وكنت أذهب إلى المساجد المهجورة ونحوها، وأمرغ وجهي في التراب، وأسأل الله تعالى، وأقول: يا معلم إبراهيم فهمني»[٢].

٤- قيام الليل[٣]:

فالقراءة في الليل لها أثرٌ كبيرٌ، ونفعٌ عظيمٌ في التدبر، ولعل هذا سر ابتداء نزول القرآن في الليل؛ ليلةَ القدر؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦﴾(المزمل)، فأمره ﷻ بصلاة الليل وترتيل القرآن فيه؛ قال ابن عباس

---

١) انظر: مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، د.خالد بن عبد الكريم اللاحم، الرياض: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص: ١٥ بتصرف. وإتحاف القاري، الدهامي، ص: ٩٧.

٢) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكاتب العربي، ص:٤٢.

٣) تدبر القرآن، سلمان بن عمر السنيدي، إصدارات مجلة البيان، الرياض، ص: ٣٠.

ﭬ: «﴿ وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾: هو أجدر أن يفقه القرآن»[1]، ويقول ابن حجر: «المقصود من التلاوة الحضور والفهم؛ لأن الليل مظنة ذلك؛ لما في النهار من الشواغل والعوارض الدنيوية والدينية»[2].

وعن عبد الله بن عمرو ﭬ، أن رسول الله ﷺ قال: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة؛ يقول الصيام: أيْ ربِّ، منعتُه الطعام والشهوات بالنهار، فشفِّعني فيه. ويقول القرآن: منعتُه النوم بالليل، فشفِّعني فيه. قال: فيشفعان**»[3]. قال الإمام النووي: «وإنما رَجَحَت صلاة الليل وقراءته؛ لكونها أجمع للقلب وأبعد عن الشاغلات والملهيات»[4].

ولأنه يجتمع فيه عدة أسباب: الليل، والصلاة، والقراءة غيبًا، والجهر، والنزول الإلهي؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الصلاة أفضل من القراءة في غير الصلاة»[5].

---

١) أخرجه أبو داود (١٣٠٦)، وحسنه الألباني.

٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (٩/ ٤٥).

٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦٦٢٦)، والحاكم في المستدرك (٢٠٣٦). وصححه، ووافقه الذهبي، ومحمد ناصر الدين الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، الرياض: مكتبة المعارف، ط٥، رقم: ٩٨٤.

٤) التبيان في آداب حملة القرآن، النووي، دمشق، الوكالة العامة للتوزيع، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ط١، ص: ٢٨.

٥) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٢٣/ ٦٣).

المطلب الثاني: الأسباب الحسية:

أولًا: أمور قبل القراءة:

١- اختيار الوقت المناسب للتدبر:

لكي يتأثر القلب بالقرآن، ويُحسن تدبره، لابد من اختيار الوقت المناسب للتدبر، وهو الوقت الذي يضعف فيه ما يُشتِّت ذهن القارئ، بحيث لا يكون هناك ما يشغل قلبه، أو يشوِّش عليه؛ فالقرآن ينبغي أن نعطي له أفضل أوقاتنا، لا فضل أوقاتنا.

وأجمل وقت وأنسبه هو وقت الليل، عندما تهدأ الحياة، ويسكن الناس، فلا ضجيج ولا إزعاج، فيتفرَّغ القلب لسماع القرآن وتلاوته، «أما الذي لا يعطي القرآن إلا فضول الأوقات، ولحظات الترقُّب والانتظار، فجدير ألا تَخْلُص إلى قلبه كثيرٌ من معانيه»[١].

وقد أمر الله نبيه محمدًا ﷺ بقيام الليل، وأمره بترتيل القرآن فيه؛ فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ (المزمل).

قال الطبري رحمه الله: «ويعني بقوله: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا﴾: ناشئة الليل أشد ثباتًا من النهار، وأثبت في القلب؛ وذلك أن العمل بالليل أثبت منه بالنهار»[٢].

---

١) أفلا يتدبرون القرآن، د. ناصر العمر، الرياض، دار الحضارة للنشر، ١٤٣٢هـ، ص: ١٥٣.

٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق: محمود شاكر، (٢٣/ ٦٨٤).

٢- اختيار المكان المناسب:

لاشك أن المكان الهادئ أفضل، والمكان الخالي أفضل؛ لذلك جاء في الحديث: يقول ﷺ: «**صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حُجرتها، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها**»[١]، «ومع وجود المكان الهادئ علينا أن يكون لقاؤنا بالقرآن في وقت النشاط والتركيز، لا في وقت التعب والرغبة في النوم، ولا نَنسى الوضوء والسواك»[٢].

ومن أفضل الأماكن: المساجد، فلها أثر كبير في التدبر؛ كما في قوله ﷺ: «**ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»[٣].

٣- اختيار المقدار المناسب:

تخصيص عدد معين من الآيات التي يمكن تدبرها من دون إرهاق وعدم تقديم كثرة التلاوة على التدبر، مما يعين على التدبر[٤].

---

١) أخرجه أبو داود في سننه (٥٧٠).

٢) كيف ننتفع بالقرآن، د. مجدي الهلالي، بحث منشور بمنتديات «مكتوب» بشبكة المعلومات الدولية، على هذا الرابط: (http://majdah.maktoob.com/vb/majdah12581).

٣) أخرجه مسلم، (٢٦٩٩).

٤) انظر: كيف نتدبر القرآن، زمرلي، ص: ٧٥.

٤- دراسة سيرة رسول الله ﷺ:

فمن المعلوم أنه ﷺ كان الترجمان الحقيقي للقرآن، وأنه كان خُلُقُه القرآن، وأنه كان قرآنًا يمشي، فهو المبيِّن لمُجمَله، والموضِّح لمُشكِله، وإذا كان الأمر كذلك، فإن تدبر القرآن وفهمه لا يتأتَّى إلا بالرجوع إلى ما ثبت من سيرته ﷺ، وما صحَّ من سنته.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «فمن سلك هذا الطريق الذي سلكوه، وجَدَّ واجتهد في تدبر كلام الله، انفتح له الباب الأعظم في علم التفسير، وقويت معرفته، واستنارت بصيرته، واستغنى بهذه الطريقة عن كثرة التكلفات، وعن البحوث الخارجية، وخصوصًا إذا كان قد أخذ من علوم العربية جانبًا قويًّا، وكان له إلمام واهتمام بسيرة النبي ﷺ وأحواله مع أوليائه وأعدائه، فإن ذلك أكبر عون على هذا المطلب»[١].

٥- التدرج في التدبر[٢]:

فالتدرج سنة كونية، وإنما يؤخذ العلم بالترقي، ومن رام العلم جملة فاته جملة، فينبغي لطالب تدبر القرآن أن يستصحب هذا الأمر معه، ويتدرج في مراقي التدبر حتى يصل إلى أعلاه إن شاء الله؛ قال عمر رضي الله عنه: «إن كان أحد منكم متعلمًا فليتعلم من المُفَصَّل[٣]؛ فإنه أيسر»[٤].

---

١) القواعد الحسان في تفسير القرآن، السعدي، الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٣٢هـ، ط٢، ص: ١٦.

٢) إتحاف القاري بوسائل تدبر كلام الباري، الدهامي، ص: ١٢٥.

٣) المفصل يبدأ من سورة ق إلى نهاية القرآن.

٤) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي (٦٠٣٠).

ثانيًا: في أثناء القراءة:

١- إثارة الأسئلة حول الآية[١]:

من أعظم وسائل التدبر: أن يستثير القارئ الأسئلة حول ما يقرأ، ويقف مع الآيات متسائلًا: لماذا قُدمت هذه السورة على تلك؟ ولماذا تميَّزت هذه السورة من تلك بافتتاحية ما؟ ولماذا تكررت آية بعينها في سورةٍ ما أكثر من مرة؟ ولماذا عُبِّر هنا بكذا، بينما عُبِّر في موضع آخر بكذا؟...ويحاول الإجابة عن ذلك بنفسه، قبل أن يسأل كتب التفسير، أو العلماء عنها، فإن ذلك مما يُثري ملَكَة التدبر وينمِّيها.

وقديمًا قالوا: «العلم خزائن ومفتاحه السؤال»[٢]، وأيُّ علمٍ أوسع وأغزر من القرآن الكريم؟!

٢- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم[٣]:

وليس المراد بها هنا مجرد التلفظ بالتعوذ، بل استعاذة حقيقية، قال الإمام ابن القيم: «إن الشيطان يجلب على القارئ بخيله ورجله حتى يشغله عن المقصود بالقرآن، وهو تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد به المتكلم به سبحانه، فيحرص بجهده على أن يحول بين قلبه وبين مقصود القرآن، فلا يَكمُل انتفاع القارئ به؛ فأُمر عند الشروع أن يستعيذ بالله عز وجل منه»[٤].

---

١) تدبر القرآن، عبدالله أبو المجد، ضمن بحوث المؤتمر الأول للهيئة العالمية لتدبر القرآن، ص: ٣٨.

٢) ورد هذا الأثر عن علي رضي الله عنه كما في حلية الأولياء (رقم: ٣٨٨٩)، وروي مرفوعًا كما في السلسلة الضعيفة للشيخ الألباني (١/ ٤٤٧)، وحكم عليه بالوضع.

٣) انظر: تدبر القرآن، السنيدي، ص: ٣١.

٤) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ط٢، (١/ ٩٣).

وقال ابن كثير: «والمعنى في الاستعاذة عند ابتداء القراءة: لئلا يَلبِس على القارئ قراءته ويخلط عليه، ويمنعه من التدبر والتفكر»[١]؛ فهي تمهيد للجو الذي يُتلى فيه كتاب الله، وتطهير له من الوسوسة، واتجاه بالمشاعر إلى الله خالصة، لا يشغلها شاغل من عالم الرجس والشر الذي يمثله الشيطان.

٣- القراءة الصحيحة المفسَّرة[٢]:

كلما كانت القراءة صحيحة مرتلة مجوَّدة كانت أقرب إلى التدبر؛ قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ (المزمل)، أخرج مسلم عن حفصة رضي الله عنها قالت: كان ﷺ يقرأ بالسورة حتى تكون أطول من أطول منها[٣]، ووصفت أم سلمة رضي الله عنها قراءته فقالت: كانت مفسَّرة حرفًا حرفًا[٤]، وفي رواية: أنه كان يقطع قراءته آيةً آيةً[٥]، وفي رواية ثالثةٍ أكثر تفسيرًا؛ تقول رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يُقطِّع قراءته، يقرأ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، ثم يقف، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، ثم يقف[٦].

---

١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ط٢، (٤/ ٦٠٢).

٢) منهج تدبر القرآن الكريم، د. حكمت بشير ياسين، ص: ١١، وانظر: تدبر القرآن، السنيدي، ص: ٣٠، وإتحاف القاري، الدهامي، ص: ٧٦.

٣) أخرجه مسلم (٧٣٣).

٤) أخرجه الترمذي (٢٩٢٣).

٥) أخرجه أبو داود، (٤٠٠١)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٣٧٩).

٦) أخرجه الترمذي (٢٩٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٣٣٦).

وعن قتادة رحمه الله أنه قال: سئل أنس رضي الله عنه: كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: كانت مدًّا، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾: يمد بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، ويمد بـ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾، ويمد بـ﴿الرَّحِيمِ﴾[1].

وفي حديث حذيفة: «يقرأ صلى الله عليه وسلم مترسِّلا...» الحديث[2].

فلم تكن عادة النبي صلى الله عليه وسلم الاستعجال في القراءة[3]، ولم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم ختم القرآن في ليلة؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ولا أعلم نبي الله صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن كله في ليلة، ولا صلى ليلة إلى الصبح»[4].

وعن أبي جمرة قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: إني سريع القراءة؛ إني أهذُّ القرآن؟ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: «لأن أقرأ سورة البقرة، فأرتلها أحب إليَّ من أن أقرأ القرآن كله هذرمة[5]»[6].

٤- الجهر بالقراءة:

من عوامل تدبُّر كتاب الله تعالى الجهر بالقرآن الكريم، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر بالقرآن، وبيَّن أن ذلك محمود؛ فقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما،

---

١) أخرجه البخاري (٥٠٤٦).

٢) صحيح مسلم (٧٧٢).

٣) وانظر: صفة تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم، مؤيد عبدالفتاح حمدان، الكويت، مؤسسة الجديد النافع، ٢٠١٠م.

٤) أخرجه مسلم (٧٤٦).

٥) هذرمة: أي بسرعة؛ كما في النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، (٥/ ٥٨٢).

٦) أخرجه عبدالرزاق في المصنف، (٤١٨٧)، بدون كلمة «هذرمة» الأخيرة، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٤٣٠)، وإسناده صحيح وجاله ثقات.

عن أبي هريرة ﵁، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ما أذِنَ**[1] **الله لشيء ما أذِنَ لنبيٍّ حسن الصوت يتغنَّى بالقرآن يجهر به**»[2].

٥- التغني بالقراءة وتحسينها[3]:

قال ﷺ: «**ليس منَّا من لم يتغنَّ بالقرآن**»[4]؛ قال ابن كثير: «المطلوب شرعًا إنما هو تحسين الصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد والطاعة»[5].

٦- الاستماع للصوت الحسن في قراءة القرآن[6]:

فإن كان لا يُحسن التغنِّيَ بالقرآن، فليستمع لمن يُحسنه، فيبحث عن أفضل القرَّاء صوتًا في تقديره هو، وليس تقدير غيره؛ فالناس تختلف في انجذابها إلى الصوت الحسن، فلينظر إلى الصوت الذي يحبه هو، ويخشع معه، وقد ثبت أن النبي ﷺ استمع إلى قراءة أبي موسى ﵁، فقال له: «**لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة،**

---

١) ما أذن: ما استمع. انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (٩/ ٦٩).

٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٥٤٤)، ومسلم في صحيحه (٧٩٢).

٣) انظر: تدبر القرآن، السنيدي، ص: ٢٩، وإتحاف القاري بوسائل تدبر كلام الباري، الدهامي ص: ٧٦.

٤) أخرجه البخاري (٧٥٢٧).

٥) ابن كثير، فضائل القرآن، مكتبة ابن تيمية، ١٤١٦ هـ، ط١، ص: ١٩٥.

٦) انظر: الدهامي، إتحاف القاري، ص: ١٠١.

لقد أوتيتَ مزمارًا من مزامير آل داود»[١]، واستمع النبي ﷺ لقراءة ابن مسعود رضي الله عنه وتأثر بها وبكى؛ فعن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «**اقرأ عليَّ القرآن**»، قلت: أأقرأ عليك وعليك أُنزل؟! قال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**»[٢]. قال ابن بطال رحمه الله: «يحتمل أن يكون كي يتدبره ويفهمه، وذلك أن المستمع أقوى»[٣].

٧- مدارسة القرآن[٤]:

وهي مشاركة في تدبر القرآن يقوم بها أكثر من طرف، كأن تكون بين الشيخ وتلاميذه، أو الوالد مع أبنائه، أو المدرس مع طلابه، أو غير ذلك من الصور الممكنة، وهي المشار إليها بقوله ﷺ: «**وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»[٥]. ولنا في مدارسة جبريل مع النبي ﷺ في ليالي رمضان شاهد على ذلك؛ وهو ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلةٍ من رمضان فيُدارِسُه القرآن، فلَرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة»[٦].

---

١) أخرجه مسلم (٧٩٣).

٢) أخرجه البخاري (٥٠٤٩).

٣) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، ط٢، (١٠/ ٢٧٧).

٤) انظر: إتحاف القاري، الدهامي، ص: ١٠٤.

٥) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

٦) أخرجه البخاري (٦).

ويلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة الاجتماع في مدرسة ورباط ونحوهما[1] من مراكز تحفيظ القرآن، أو الغرف الصوتية على (الإنترنت)، أو الهواتف الذكية التي تحقق هذه الغاية.

٨- الإنصات عند الاستماع للقرآن[2]:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ (الأعراف)، قال الطبري (ت٣١٠هـ): «أصغوا له سمعكم؛ لتتفهموا آياته، وتعتبروا بمواعظه، وأنصتوا إليه لتعقلوه وتتدبروه، ولا تَلغُوْا فيه فلا تعقلوه»[3].

والاستماع أبلغ من السماع، فهو سماع وانتباه، والإنصات يرجع مجموع معناه عند المفسرين: إلى أنه قطع الموانع من كمال الاستماع.

ولقد أثنى الله سبحانه على الجن عند استماعهم للقرآن، وتأدبهم في مجلس الاستماع، فقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ (الجن)، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (الأحقاف)، فقد استمعوا صامتين منتبهين حتى النهاية، فلما انتهت التلاوة لم يلبثوا أن سارعوا إلى قومهم، وقد حملت نفوسهم ومشاعرهم منه ما لا تطيق السكوت عليه، أو التلكؤ في إبلاغه والإنذار به.

---

١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ١٣٩٢هـ، ط٢، (١٧/ ٢٢).

٢) انظر: تدبر القرآن، السنيدي، ص: ٣١، وكيف نتدبر القرآن، زمرلي، ص:٤٣، وبحث تدبر القرآن الكريم: مفهومه وأهميته ووسائله وثماره، عبدالواسع الغشمي، ضمن البحوث المقدمة لمؤتمر تدبر الأول، ص: ١١.

٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ابن جرير الطبري، (١٣/ ٣٤٤ و ٣٤٥).

قال الآجري (ت٣٦٠هـ): «وقد أخبرنا الله عن الجنّ في حُسن استماعهم للقرآن، واستجابتهم لما ندبهم إليه، ثم رجعوا إلى قومهم فوعظوهم بما سمعوا من القرآن بأحسن ما يكون من الموعظة»[1].

ولقد أحب النبي ﷺ أن يستمع للقرآن من غيره، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «**اقرأ عليّ**»، قلت: أأقرأ عليك وعليك أُنزِل؟! قال: «**فإني أحب أن أسمعه من غيري**»، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ (النساء)، قال: «**أمسك**»، فإذا عيناه تذرفان[2]. فتأثر النبي ﷺ بذلك، وما يكون عليه الحال يوم القيامة من هول المطلع وشدة الأمر؛ إذ يؤتى بالأنبياء شهداء على أممهم، ويؤتى به ﷺ يوم القيامة شهيدًا عليهم جميعًا.

ولقد تأثر بعض الصحابة عند سماعهم للقرآن فأسلموا، فعن محمد بن جبير ابن مطعم، عن أبيه رضي الله عنه قال: «سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (الطور) قال: كاد قلبي أن يطير»[3].

---

١) أخلاق حملة القرآن، الآجُرِّي، ص: ٢.

٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٥٨٣)، ومسلم في صحيحه (٨٠٠)، واللفظ للبخاري.

٣) أخرجه البخاري (٤٨٥٤).

قال الخطابي (ت٣٨٨هـ): «كأنه انزعج عند سماع هذه الآية؛ لفهمه معناها ومعرفته بما تضمنته، ففهم الحجة، فاستدركها بلطيف طبعه»[1].

وقد صنف ابن القيم الناس عند سماع القرآن إلى ثلاثة أنواع؛ فقال:

«رجلٌ قلبه ميت، فذلك الذي لا قلب له، فهذا ليست الآية ذكرى في حقه.

الثاني: رجلٌ له قلب حيٌّ مستعد، لكنه غير مستمعٍ للآيات المتلُوة التي يخبر بها الله عن الآيات المشهودة، إما لعدم وُرُودها، أو لوصولها إليه وقلبه مشغول عنها بغيرها، فهو غائب القلب ليس حاضرًا، فهذا أيضًا لا تحصل له الذكرى مع استعداده ووجود قلبه.

والثالث: رجلٌ حيُّ القلب مستعد، تُليت عليه الآيات فأصغى بسمعه، وألقى السمع، وأحضر قلبه، ولم يَشغله بغير فهم ما يسمعه، فهو شاهد القلب، مُلقي السمع، فهذا القسم هو الذي ينتفع بالآيات المتلوَّة والمشهودة.

فالأول: بمنزلة الأعمى الذي لا يبصر، والثاني: بمنزلة البصير الطَّامح ببصره إلى غير جهة المنظور إليه؛ فكلاهما لا يراه، والثالث: بمنزلة البصير الذي قد حدَّق إلى جهة المنظور، وأتبعه بصره، وقابله على توسطٍ من البُعد والقرب، فهذا هو الذي يراه»[2].

---

١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (٨/ ٦٠٣).

٢) ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ص: ٤٤٢ - ٤٤٣.

٩- ترديد الآيات المقروءة والوقوف معها[١]:

وهو من أهم الوسائل المعينة على سرعة الانتفاع بالقرآن، وتدبره، فبالتكرار يتذوق المتدبر حلاوة القرآن، ويزول عن القلب الغفلة بإذن الله، وهو فعل الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم.

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يرددها، والآية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ (المائدة)»[٢].

فهـذا رسول الله ﷺ يقدم التدبر على كثرة التلاوة، فيقرأ آية واحدة فقط في ليلة كاملة.

قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ) في تفسير هذه الآية: «هذا الكلام يتضمن ردَّ المشيئة إلى الله عز وجل، فإنه الفعَّال لما يشاء، الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، ويتضمن التبري من النصارى الذين كذبوا على الله وعلى رسوله، وجعلوا لله ندًّا وصاحبةً وولدًا، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، وهذه الآية لها شأن عظيم، ونبأ عجيب، وقد ورد في الحديث: أن رسول الله ﷺ قام بها ليلةً حتى الصباح يرددها»[٣].

وعلى هذا، فإن تكرار القراءة للآية مرارًا وترديدها وسيلةٌ للوقوف على معانيها ومراميها.

---

١) انظر: منهج تدبر القرآن الكريم، د. حكمت بشير ياسين، ص: ١٦، وإتحاف القاري، الدهامي، ص: ٩٥.

٢) أخرجه النسائي في سننه (١٠١٠)، وابن ماجة في سننه (١٣٥٠)، والإمام أحمد في مسنده (٢١٣٨٨)، وابن أبي شيبة في مصنَّفه (٣١٧٦٧)، وصححه البوصيري، في مصباح الزجاجة، (١/ ٢٠٥)، وقال: (رجاله ثقات)، وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٨٧٩)، وقال: (هذا حديث صحيح، ولم يخرجاه)، وصححه الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار، (٨٩٧). والألباني في مشكاة المصابيح (١٢٠٥).

٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣/ ٢٣٣ و ٢٣٤).

وعن محمد بن كعب القرظي قال: «لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بـ (إذا زُلزلت)، و (القارعة)، لا أزيد عليهما، وأتردد فيهما وأتفكر؛ أحب إليَّ من أن أهذَّ القرآن ليلتي هذًّا، أو قال: أنثره نثرًا»[1].

وعن عباد بن حمزة بن عبدالله بن الزبير، قال: «دخلت على أسماء وهي تقرأ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧﴾ (الطور)، قال: فوقفَتْ عليها، فجعلتْ تستعيذ وتدعو، قال عباد: فذهبت إلى السوق فقضيت حاجتي، ثم رجعت وهي فيها بعدُ؛ تستعيذ وتدعو»[2].

قال ابن قدامة: «وليعلم القارئ أن ما يقرؤه ليس من كلام بشر، وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه، ويتدبر كلامه، فإن التدبر هو المقصود من القراءة، وإن لم يحصل التدبر إلا بترديد الآية فليرددها»[3].

وقال ابن القيم: «فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكر حتى إذا مرَّ بآية وهو يحتاج إليها في شفاء قلبه كررها، ولو مئة مرة، ولو ليلة، فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان، وذوق حلاوة القرآن»[4]، وقال رحمه الله أيضًا: «كانت عادة السلف يردد أحدهم الآية إلى الصباح»[5].

١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٨٧٣٢)، وإسناده ضعيف.

٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف(٦٠٣٧)، وإسناده حسن.

٣) مختصر منهاج القاصدين، بن قدامة المقدسي، (١/ ٤٤).

٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم، (١/ ١٨٧).

٥) المرجع السابق، (١/ ١٨٧).

١٠- التفاعل مع الآيات:

جاء عن حذيفة رضي الله عنه، قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلةٍ فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المئة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها؛ يقرأ مترسلًا؛ إذا مرَّ بآيةٍ فيها تسبيحٌ سبَّح، وإذا مرَّ بسؤالٍ سأل، وإذا مرَّ بتعوُّذٍ تعوَّذ ...[١].

وعن جابر رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ (الأنعام: ٦٥)، قال رسول الله ﷺ: «**أعوذ بوجهك**»، قال: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «**أعوذ بوجهك**»، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**هذا أهون، أو هذا أيسر**»[٢].

١١- النظر في المصحف[٣]:

وذلك أن القارئ من حفظه قد يستغرق ذهنه في تذكر المحفوظ فيشغله عن التفكر في كلام الله تعالى، بينما القارئ في المصحف لا توجد عنده هذه المسألة، والناظر في المصحف يستطيع الربط والمقارنة بين الآيات، والتأمل بين أول السورة وآخرها، وهذا يفتقده الحافظ إلا بعسر، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «أديموا النظر في المصحف»[٤].

---

١) أخرجه مسلم (٧٧٢).

٢) أخرجه البخاري (٤٦٢٨).

٣) منهج تدبر القرآن، د. حكمت بشير، ص: ٧٨.

٤) أخرجه عبدالرزاق الصنعاني في المصنف (٣/ ٣٦٢)، وسنده حسن.

وقال الإمام النووي: «(فصل) قراءة القرآن من المصحف أفضل من القراءة عن ظهر القلب؛ لأن النظر في المصحف عبادة مطلوبة، فتجتمع القراءة والنظر؛ هكذا قاله القاضي حسين من أصحابنا وأبو حامد الغزالي وجماعات من السلف، ونقل الغزالي في الإحياء أن كثيرين من الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقرؤون من المصحف، ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف، وروى ابن أبي داود القراءة في المصحف عن كثيرين من السلف، ولم أر فيه خلافًا، ولو قيل: إنه يختلف باختلاف الأشخاص، فيُختار القراءة في المصحف لمن استوى خشوعه وتدبره في حالتي القراءة في المصحف وعن ظهر القلب، ويُختار القراءة عن ظهر القلب لمن لم يكمُل بذلك خشوعه ويزيد على خشوعه وتدبره لو قرأ من المصحف؛ لكان هذا قولًا حسنًا، والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل»[١].

ثالثًا: بعد القراءة:

١- الإكثار من قراءة القرآن[٢]:

ومما يعين على تدبر القرآن: الإكثار من تلاوته وعدم قطعها؛ (فمن أدمن قرع الباب أوشك أن يفتح له)، وكم من آية أُغلق فهمها اليوم وفُتح غدًا؛ ولذلك جاءت الأحاديث في الثناء على من كانت هذه حاله؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجلٌ علَّمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جارٌ له فقال: ليتني أوتيتُ مثلما أوتي فلان، فعملتُ مثلما يعمل ...**»[٣].

---

١) التبيان في آداب حملة القرآن، النووي، ص: ٣٧.

٢) إتحاف القاري، ص:٨٢، الدهامي، وانظر بحث أثر الورد اليومي في تدبر القرآن، محمد عبداللطيف، ضمن بحوث المؤتمر الأول للهيئة العالمية لتدبر القرآن.

٣) أخرجه البخاري (٥٠٢٦).

وكان النبي ﷺ حريصًا على قراءة القرآن كل يوم، فلما جاء وفد ثقيف إلى المدينة أنزلهم رسول الله ﷺ في قُبَّة بين المسجد وبين أهله، فكان يأتيهم ويحدِّثهم بعد العشاء، وفي ليلةٍ من الليالي تأخر عليهم، ثم أتاهم، فقالوا له: يا رسول الله، لبثت عنَّا الليلة أكثر مما كنت تلبث، فقال: «**نعم، طرأ عليَّ حِزْبِي من القرآن، فكرهت أن أخرجَ من المسجد حتى أقضيَه**»[١].

وكان الصحابة رضي الله عنهم يختمون كل أسبوع ختمة، قال أوس: «سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزبون القرآن، فقالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده»[٢].

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «ما أحب أن يأتي عليَّ يوم ولا ليلة إلا أنظر في كلام الله»[٣]، يعني: القراءة في المصحف. وقال ابن تيمية رحمه الله في باب فهم القرآن: «قارئ القرآن دائم التفكر والتدبر لألفاظه، واستغنائه بمعاني القرآن وحِكَمِه عن غيره من كلام الناس، وإذا سمع شيئًا من كلام الناس وعلومهم عرضه على القرآن، فإن شهد له بالتزكية قبله، وإلا ردَّه»[٤].

---

١) أخرجه أبو داود في سننه (١٣٩٥)، وابن ماجه (١٣٤٥)، وأحمد بن حنبل في مسنده (١٦١٦٦)، وهذا اللفظ عند الطحاوي في شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ/ ١٤٩٤م، ط١، (١٣٧١).

٢) أخرجه أبو داود (١٣٩٥)، وابن ماجه (١٣٤٥).

٣) الزهد، أحمد حنبل الشيباني، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٤٠٨هـ، ص: ١٢٨.

٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية الحراني، (١٦/ ٥٠).

«... فإن من يقرأ القرآن في يومه وهو غافل عن معانيه يقرؤه في غده وهو ذاكر لها، ومن قرأه في غده وهو ذاكر لها، أوشك أن يعمل بعد غد بهديها، وهكذا ينتقل القارئ من درجة إلى درجة أرقى منها، حتى يصل إلى الغاية بعد تلك البداية؛ وكل من سار على الدرب وصل»[1].

٢- القراءة في كتب التفسير[2]:

لا شك أن التفسير قنطرة التدبر، ومن لم يفهم القرآن فكيف يتدبره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن المعلوم أن كل كلامٍ المقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه؛ فالقرآن أولى بذلك، وأيضًا فالعادة تمنع أن يقرأ قومٌ كتابًا في فن من العلم -كالطب والحساب- ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم، وقيام دينهم ودنياهم؟!»[3].

قال إياس بن معاوية: «مَثَلُ الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتابٌ من ملكهم ليلًا، وليس عندهم مصباح، فتداخلتهم رَوعةٌ، ولا يدرون ما في الكتاب، ومثلُ الذي يعرف التفسير كمثل رجلٍ جاءهم بمصباحٍ فقرؤوا ما في الكتاب»[4].

---

١) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقاني، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٦م، ط١، (٢/ ٩٤).

٢) انظر: إتحاف القاري، الدهامي، ص: ١١٢، وكيف نتدبر القرآن، زمرلي، ص: ٦٢.

٣) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية الحراني، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٠م، ص: ١٠.

٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١/ ٢٦).

٣- سؤال أهل العلم:

ينبغي لمن قرأ شيئًا من القرآن، ولم يفهم، أن يسأل عنه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ (الحجر)، وقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣﴾ (النحل)، فسؤال أهل القرآن عن القرآن ومعانيه وطلب فهمه، من أعظم ما يعين على التدبر، وفي هذا مطلب مهم، وهو تعظيم أهل العلم وتوقيرهم، فهم من أعظم أسباب فهم القرآن.

٤- ربط القرآن بالواقع[١]:

وذلك باستشعار القارئ للقرآن أو المستمع له أنه المقصود بالخطاب، وأن كل خطاب في القرآن مُوجَّه إليه.

قال ابن قدامة: «وينبغي لتالي القرآن أن يعلم أنه المقصود بخطاب القرآن ووعيده، وأن القصص لم يُرَد بها السمر، بل العبر»[٢].

ولقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم- خير مثال للمؤمنين، فحينما يقرؤون القرآن كانوا يدركون أنهم المقصودون بالخطاب، فمن ذلك ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ (الأنعام) ،شقَّ ذلك على أصحاب

---

١) انظر: تدبر القرآن، السنيدي، ص:٩٧، وبحث (تدبر القرآن الكريم: مفهومه وأهميته ووسائله وثماره)، د.عبدالواسع الغشمي، ضمن البحوث المقدمة لمؤتمر تدبر الأول، ص:١١.

٢) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي، (١/ ٤٥).

النبي ﷺ وقالوا: أيُّنا لم يظلم نفسه؟! فقال رسول الله ﷺ: «**ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه:** ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ **(لقمان)**»[1]. ففهم الصحابة أنهم هم المعنيُّون، فشَكَوْا إلى النبي ﷺ، فبيَّن لهم أن الظلم في الآية هو الشرك؛ فهان الأمر عليهم.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فأرعِها سمعك، فإنه خيرٌ يأمر به، أو شرٌّ ينهى عنه»[2]؛ وهذا لكونهم أخذوا القرآن للتلقي والعمل، وأن كل ما فيه خطابٌ لكل من سمعه؛ قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «لكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له، ويظنونه في نوعٍ وفي قومٍ قد خَلَوْا من قبل ولم يعقِبوا وارثًا، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن، ولَعمْرُ اللهِ إن كان أولئك قد خَلَوْا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شرٌّ منهم أو دونهم»[3].

وعند قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ (المؤمنون)؛ قال ابن القيم: «والناصح لنفسه العامل على نجاتها: يتدبر هذه الآيات حق تدبرها ويتأملها حق تأملها وينزلها على الواقع فيرى العجب، ولا يظنها اختصت بقوم كانوا فبانوا، فالحديث لك واسمعي يا جارة، والله المستعان»[4].

١) أخرجه البخاري (٦٩٣٧).

٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير القرشي الدمشقي، (٣/ ٤٨٧).

٣) مدارج السالكين، ابن القيم، (١/ ٣٤٣).

٤) المرجع السابق، (٢/ ٣٨٩).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣ ﴾ (المؤمنون)، قال ابن القيم: «فمن تدبر هذه الآيات ونزَّلها على الواقع تبين له حقيقة الحال، وعلم من أي الحزبين هو، والله المستعان»[1].

---

١) بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية، ج: ٣، ص: ٢٣٣.

المبحث الثاني

موانع التدبر

الموانع ضد الأسباب، فكل سبب نفيه ينقلب مانعًا، ومع ذلك فسأذكر هنا أمورًا أخرى مهمة في موانع التدبر، وموانعُ التدبر -كما هو الحال في الأسباب- نوعان:

موانع معنوية، وموانع حسية.

المطلب الأول: الموانع المعنوية:

١- ضعف تعظيم القرآن، والزيغ والانحراف العقدي:

وأعني به بين المنتسبين لى الإسلام، فالكثير لا يعظم القرآن، فكيف يتدبره وينتفع به؛ وهذا له أسباب كثيرة:

منها بعض البدع؛ فكثير من أصحاب البدع يرى أن القرآن محرَّف أو ناقص، وبعضهم يراه مخلوقًا، وبعضهم يرى أن ظواهره غير مقصودةٍ، وغير ذلك من البدع، وفي ذلك يقول ابن تيمية: «صاحب الهوى يعميه الهوى ويصمُّه، فلا يستحضر ما لله ورسوله في الأمر، ولا يطلبه أصلًا، فليس قصده أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا، بل قصده الحميَّة لنفسه وطائفته أو الرياء»[1].

ومنها بعض المذاهب الفكرية المعاصرة التي يرى أصحابها أن القرآن لا يناسب العصر، أو هو بشري الأسلوب، أو أنه نزل للأَعراب فقط، ونحو ذلك من عباراتهم الخبيثة القادحة.

---

١) انظر: منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط١، (٥/ ٢٥٦).

ومنها إبعاد القرآن عن التحكيم في بلاد المسلمين.

ومنها ضعف المناهج التعليمية الرسمية في تعليم القرآن وربط الناس به.

ومنها ابتعاد كثير من المسلمين في العالم عن الارتباط بالقرآن.

كل هذا وغيره أسهم في إضعاف تعظيم القرآن في قلوب الناس، فمنعهم تدبره.

٢- اتباع المتشابِهِ وترك المحكم من كتاب الله:

اتباع المتشابه صادٌّ عن التدبر[1]؛ ولقد حذَّر النبي ﷺ من اتباع المشتبهات وعدم ردها إلى المحكم؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ ﴾ الآية (آل عمران:٧)، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**فإذا رأيتِ الذين يتَّبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى الله فاحذروهم**»[2].

٣- القصور في فهم القرآن[3]**:**

كثير من الناس يُهمُّه أجر القراءة، وليس الفهم، وبعضهم يكتفي بفهمه الشخصي، ولا يسأل عن معانيه، أو يقرأ تفسيرًا، وعن عبد الله بن عمرو بن

---

١) مفهوم التدبر، تحرير وتأصيل، ص: ١١٦.

٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٥٤٧)، ومسلم في صحيحه (٢٦٦٥).

٣) انظر: بحث تدبر القرآن: وسائله وموانعه، د. عبدالله المغلاج، ص:١١، ضمن بحوث المؤتمر الأول للهيئة العالمية لتدبر القرآن. والفهم الخاطئ في التدبر وسبل الوقاية منه، إبراهيم محمد، وهو بحث متخصص في هذه الجزئية.

العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث**»[1]، وهذا الحديث يدل على أن فهم القرآن هو المقصود الأهم بالقراءة.

٤- الفهم الخاطئ لكتاب الله:

وهذا فرع عن السابق، فتقصيره في فهم كتاب الله سيؤديه إلى تصورات خاطئة، وأفهام مغلوطة تمنعه من حقيقة التدبر.

٥- زعْمُ أن القرآن لا يفهمه إلا المتخصصون:

قال بعض متأخري الأصوليين: «إن تدبر هذا القرآن العظيم وتفهمه والعمل به لا يجوز إلا للمجتهدين خاصة...»[2].

بل قال أحمد الصاوي في حاشيته على الجلالين، في تفسير سورة الكهف عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ٢٣﴾ (الكهف): «الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر». انتهى كلامه بنصه، والعياذ بالله، أنزل الله كتابه هدًى: ﴿وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ﴾ (سبأ: ٥٠)، وهو يجعله من أصول الضلال، بل من أصول الكفر!

قال الشنقيطي -بعدما نقل كلام الصاوي السابق-: «فانظر ما أشنع هذا الكلام، وما أبطله، وما أجرأ قائله على الله وكتابه، وعلى النبي ﷺ وسنته وأصحابه، سبحانك هذا بهتان عظيم!»[3]. اهـ.

---

١) أخرجه أبو داود في سننه (١٣٩٦)، والدارمي في سننه (١٤٩٣)، وقال حسين سليم أسد: (إسناده صحيح)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م، ط٢، (٧٥٨).

٢) مبحث جليل على آية من التنزيل، الشنقيطي، ص: ٥.

٣) السابق، ص: ١٣.

مع أن القرآن -كما جاء عن ابن عبّاس رضي الله عنهما-: «على أربعة أوجه: وجهٌ تعرفه العرب من كلامها، ووجه لا يُعذَر أحدٌ بجهالته، ووجه يعلمه العلماء، ووجه لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره»[1].

٦- الورع البارد[2]:

قال ابن هبيرة: «ومن مكايد الشيطان: تنفيره عباد الله من تدبر القرآن لعلمه أن الهدى واقعٌ عند التدبر، فيقول: هذه مخاطرة، حتى يقول الإنسان: أنا لا أتكلم في القرآن تورعًا»[3].

و«يعتقد البعض أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عنهم -أي السلف- وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأي، ومن فسَّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»[4].

فبعضهم يظن أن عدم تفسير القرآن هو من الديانة والورع من الكلام في كتاب الله تعالى بغير علم، فيؤديه هذا إلى الانصراف الكامل عن كلام الله مستدلًّا ببعض الآثار:

مثل قول الصديق رضي الله عنه: «أيُّ سماءٍ تظلني، وأي أرضٍ تقلني؛ إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم»[5]، وكان ابن أبي مليكة يقول: «سئل ابن عباس عن آية، لو سئل

---

١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (١/ ٧٥).

٢) انظر: تدبر القرآن، السنيدي، ص: ٥٢.

٣) الذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب، ط١، (٢/ ١٥٦).

٤) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، بيروت، دار المعرفة، (١/ ٢٨٥) بتصرف، و كيف نتعامل مع القرآن العظيم، يوسف القرضاوي، ص: ١٧٦ بتصرف.

٥) ابن جرير الطبري، (١/ ٧٨).

عنها بعضكم لقال فيها، فأبى أن يقول فيها»[1]، والمتأمل هذه الآثار يجد أنَّ بعضها ضعيف، والصحيح منها مقيد بالكلام على آية معينة، ليس له فيها علم، وليس عامًّا في كل كتاب الله؛ بدليل أن الكثير من التفسير نقل عن هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم المنقول عنهم الكلام الماضي.

٧- المعصية[2]:

فالطاعة مورِثة العلم الذي منه التدبر، كما قال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ (الأنفال:٢٩)، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ (البقرة:٢٨٢)، على رأي بعض العلماء[3]، ومفهوم هذا أن المعصية تَحْرِم العلم، وتَحْرِم فهم القرآن؛ فالمعصية من أعظم موانع فهم القرآن وتدبره، قال بعض السلف: «أذنبت ذنبًا فحُرمت فهم القرآن»[4].

وقال الزركشي (ت٧٩٤هـ): «واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة، ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعةٌ أو إصرارٌ على ذنب، أو في قلبه كِبرٌ أو هوى أو حب الدنيا، أو يكون غير متحقق الإيمان»[5].

---

١) السابق، (١/ ٨٦).

٢) إتحاف القاري، الدهامي، ص: ١٢٦.

٣) جمهور المفسرين على أن قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ جوابُ الأمرِ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، ولكن أهل اللغة يأبون ذلك؛ لأن جواب الأمر مجزوم؛ لقيامه مقام جواب الشرط، وهو هنا مرفوع.

٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم، ط٢، ص: ٤٠٨.

٥) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (٢/ ١٨٠).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة، المضرَّة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة، ما لا يعلمه إلا الله، فمنها: حرمان العلم، فإن العلم نورٌ يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور.

ولما جلس الإمام الشافعي بين يدي مالك، وقرأ عليه، أعجبه مارأى من وفُور فطنته وتوقد ذكائه، وكمال فهمه، فقال: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نورًا فلا تطفئه بظلمة المعصية.

وقال الشافعي رحمه الله:

شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال اعلم بأن العلم نور ... ونور الله لا يُؤْتَاهُ عاصي»[1]

٨- سماع القصائد:

قال ابن تيمية: «ولذا تجد من أكثر من سماع القصائد لطلب صلاح قلبه، تنقص رغبته في سماع القرآن، حتى ربما كرهه»[2]، وإذا كان هذا حال القصائد فما بالك بمن يسمع الغناء؟!

٩- انشغال القلب وشرود الذهن[3]:

فالقرآن لابد فيه من الاستماع والإنصات، وإلا حُجب بينه وبينه، وقد تقدم بيان هذا المعنى.

---

١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، ابن القيم، ص: ٣٤.

٢) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، (١/ ٢١٧).

٣) تدبر القرآن، السنيدي، ص: ٤٥، وتدبر القرآن، مقال لمحمد شاكر الشريف، في مجلة البيان العدد: ٢٦٥،ص: ٣٨.

١٠- الكبر[١]:

وحب الظهور والعُجب والتكبر عن قبول الحق والإصغاء إليه كل ذلك مانع من تدبر القرآن؛ لقوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ ﴾ (الجاثية)، وقال سبحانه: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ (الأعراف)؛ قال سفيان بن عُيَينة في تفسير هذه الآية: «سأنزع عنهم فهم القرآن، وأصرفهم عن آياتي»[٢].

١١- ضعف الإيمان باليوم الآخر[٣]:

كلما ضعف إيمان العبد باليوم الآخر ضعف فهمه وتدبره للقرآن، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ (الإسراء: ٤٥-٤٦).

---

١) انظر: المدخل إلى الدراسات القرآنية، الندوي، ص:١٢٨، وتدبر القرآن، السنيدي، ص: ٤٥.

٢) تفسير ابن كثير، (٣/ ٤٧٥).

٣) انظر: المدخل إلى الدراسات القرآنية، الندوي، ص: ١٣٣.

المطلب الثاني: الموانع الحسية:

١- ضعف اللغة العربية[١]:

فالقرآن الكريم نزل بها؛ قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ (يوسف)، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ (طه: ١١٣)، ولقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: «اللغة العربية من الدين»[٢]، وقال الشاطبي (ت: ٧٩٠ هـ): «القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلبُ فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾، (يوسف)، وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ (الشّعراء)، وقال: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ (النّحل)، وقال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ (فصّلت: ٤٤)؛ إلى غير ذلك مما يدل على أنه عربي، وبلسان العرب، لا أنه أعجمي، ولا بلسان العجم، فمن أراد تفهُّمَه فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلُّب فهمه من غير هذه الجهة»[٣].

ويقول العز بن عبدالسلام: «لا يتأتى تدبر القرآن وفهم معانيه إلا بمعرفة ذلك»[٤]؛ أي: بمعرفة اللغة العربية، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»[٥].

---

١) انظر: تدبر القرآن، السنيدي، ص: ٩٠، ومفهوم التدبر، ص: ١٠.

٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، (١/ ٢٠٧).

٣) انظر: الموافقات في أصول الفقه، المالكي، تحقيق: عبد الله دراز، بيروت، دار المعرفة، (٢/ ٦٤).

٤) طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د.عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ، ط٢، (٨/ ٢٥٢).

٥) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، (١/ ٢٠٧).

٢- الصفحات الموجَّهة ونهاية الأرباع والأجزاء:

من موانع تدبُّر كتاب الله تعالى ظنُّ كثير من الناس أن نهاية الصفحة أو نهاية الربع أو نهاية الجزء، فيه اكتمالٌ لمعنى سابق، وبداية لمعنى جديد، وهذه مشكلة حقيقية تواجه كثيرين، ويجهل كثير من الناس أن التحزيب إنما قصد به ترتيب الحفظ لطالب حفظ القرآن، أو ترتيب القراءة لمريد الختم، ولم يقصد بها الإشارة إلى المعاني[1]، ومما يدل على خطأ هذا التصور ما يأتي:

أما الصفحات فظاهر، ونظرة واحدة إلى (سورة يوسف) مثلًا تكفي في رد هذا الأمر، وأما الأرباع فإليك هذا المثال الذي أدَّى إلى لَبسٍ كثيرٍ في التدبر:

قوله تعالى في البقرة: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (البقرة)، لقد انتهى الربع عند الآية: ٩١، مع أن الآية التي تتلوها مرتبطة بها ارتباطًا تامًّا.

وأما الأجزاء فإليك هذا المثال الذي فيه نحو هذا اللبس: فالجزء الخامس عشر انتهى في منتصف سورة الكهف في قصة موسى والخضر، ثم بدأ بقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ (الكهف)، والاتصال فيه لا يخفى.

٣- قَصْر الهمَّة على تحقيق الحروف والمخارج[2]:

تجد القارئ تنصرف كل همته، ويتجه جُلُّ تركيزه في أثناء التلاوة على الحروف ومخارجها، وأحكام التجويد وإتقانها، دون أدنى تعلّق بالمعاني والتدبر.

---

١) وللإنصاف فإن في بعضها اجتهادًا جيدًا في الوقوف على المعاني، ولكن الالتفات إلى الكم مقدم فيها على المعنى.

٢) انظر: تدبر القرآن الكريم: المصطلح والوسائل، عبدالله أبو المجد، ضمن بحوث المؤتمر الأول للتدبر.

«فقد يُعاب الإنسان أيّ عيب إذا رَقّق المفخّم، أو فخّم المرقّق، أو لحن لحنًا جليًّا أو خفيًّا، ولا يُعاب إذا لم يدرك بديهيات قضايا القرآن الكريم، أو المعاني الظاهرة المتبادرة؛ لأن طريقة التعلم غرست فينا هذا الجانب، ولا يقول أحدٌ: إن جودة الأداء ليست غرضًا ولا هدفًا، لكن هناك فرق بين غرضٍ هو مقدمةٌ لغيره وغرضٍ هو المقصود الأسمى للقرآن الكريم...»[(١)].

وفي ذلك يقول صاحب «الإحياء» في معرِض حديثه عن موانع فهم القرآن، ومنها: «أن يكون الهمُّ منصرفًا إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها، وهذا يتولى حفظه شيطانٌ وُكِّل بالقُرَّاء ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله ﷻ، فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه، فهذا يكون تأمله مقصورًا على مخارج الحروف، فأنَّى تنكشف له المعاني، وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعًا لمثل هذا التلبيس»[(٢)].

٤- مجالس اللغو:

مجالس اللغو من أسباب الإعراض عن كتاب الله وتدبره؛ ولهذا لما أدرك المشركون خطورة القرآن، وأثره في الناس، قالوا كما أخبر عنهم العليم الخبير: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (فصلت)، والمناسبة بين الجملتين هي عطف السبب على المسبب، فاللغو يمنع كمال الاستماع، والانتفاع بكتاب الله.

---

١) فهم القرآن بين القواعد الضابطة والمزالق المهلكة، أ.د. رمضان خميس زكي، ص: ٦، بحث منشور على موقع «الإسلام اليوم» بشبكة المعلومات الدولية، ورابطه: (http://islamtoday.net/bohooth/86-saveart/services-133922.htm).

٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، (١/ ٢٨٤) بتصرف.

الخاتمة

وقد تم الانتهاء من هذا الكتاب الذي أرجو أن يكون اكتمل فيه عقد مبادئ هذا العلم، وهذه أهم نتائجه وتوصياته:

١- لا بد من تأصيل العلوم الشرعية، والاهتمام بمبادئها؛ ليسهل فهمها.

٢- علم التدبر من أعظم علوم القرآن وأهمها؛ فينبغي مزيد الاعتناء به.

٣- واجبات الأمة نحو القرآن الكريم كثيرة، ولكن العاملين بها قليل.

٤- التدبر له ركنان: علمي، وعملي.

٥- التدبُّر من أعظم العلوم التي تعلِّق الناس بكتاب الله سبحانه، وتربطهم به.

٦- التدبر واجب على جميع أفراد الأمة، كلٌّ بحسب علمه وقدرته.

٧- أسباب التدبر وموانعه كثيرة، تختلف باختلاف الأشخاص والأزمان والأماكن.

وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم.

وإن شاء الله إن فسح ﷻ في العمر فسوف أُتبع هذا الكتاب التأصيليَّ لهذا العلم، بآخر فيه الجانب التطبيقيُّ العملي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



منظومة

فتق الأذهان بتدبُّر القرآن

للشيخ: حامد الإدريسي

منظومة فتق الأذهان بتدبُّر القرآن

نظمها الشيخ: حامد الإدريسي

المقدمة

١- سبحان من أرشدنا لشكره وخصنا من خلقه بذكره

٢- وجعل القرآن بالفصيح من لغة العُرْب بلاد الشيح

٣- ليتبدر أولو الألباب ويدركوا مقاصد الكتاب

٤- فقوله سبحانه بحار في كنهها عقولنا تحتار

٥- أحمده لنعمة القرآن فهي أجل نعم الرحمان

٦- وأشرك الحمد مع الصلاة على النبي فاضل الصفات

٧- وآله معادن العلوم وصحبه مجامع الفهوم

٨- وبعد هذا النظم للقواعد بها تدبر كلام الواحد

٩- فلج بها عوالم المعاني وغص بها لدرر المثاني

١٠- وقبلُ إن واجب القرآن سمع وحفظ يا أولي العرفان

١١- وتتلوَ الحروف بالإتقان كيما تكون من أولي الإيمان

١٢- ثم التدبر لآي أحكمت كما بصاد ومحمد ثبت

١٣- كي لا يغلّ القلب بالأقفال ويسلم العقل من الضلال

١٤- هذا ولن ينفع إلا العملُ مع احتكام بالكتاب يحصلُ

١٥- فاعمل أخي بما قرأت واجتهد في أن تعيش بالهدى عيش الرغد

معنى التدبُّر في اللغة والاصطلاح

١٦- انظر إلى عاقبة الأمور بالفكر في المبدأ والمصير

١٧- فذا تدبر يفيد الرشَدا في الفعل والقول وحال سُدِّدا

١٨- وأهل هذا الشأن قالوا حده إعمال فكر في الكتاب قصده

١٩- مع نظر في عقب الأمور وذا عليه غالب الجمهور

٢٠- تأمل المعنى مع التبصر هذا الذي يقوله الزمخشري

٢١- لكنما الطيَّار قد قسَّمهُ إلى قراءة وما أفهمَهُ

٢٢- لفظٌ من المعنى مع التأثُّرِ فعملٌ يجنيه بالتفكر

٢٣- فللتدبُّر إذن ركنان فكر وفعل فهما سيان

٢٤- وقد يكون قبل فهم المعنى توصلا لما أراد المولى

٢٥- وقـد يكـون بعـده تنزيـلا تحققـا تعمقـا تمثيـلا

٢٦- وذا مـع التفسـير يبـدوان متفقـين بـل همـا شـيئان

٢٧- وفرقـوا بينهمـا بمـا يـلي بالجـزم والخشـوع ثـم العمـل

٢٨- وقـد يقـول قائـل ومـن أكـون وهـل أقـول في الكتـاب بالظنـون

٢٩- فـذاك تلبيـس مـن الشـيطان لـكي تكـون هاجـر القـرآن

٣٠- وغايـة الأمـر اتصـال المعـنى بالفكـر ثـم قلبـك المعنّى

فصل في فضل تدبر القرآن

٣١- يـا مؤمنـا بمـا الرحيـم أنـزله في سـورة القتـال أمـرا عللـه

٣٢- في صـاد والنسـاء ثـم المؤمنـون مستفهمـا بأفـلا يدبـرون

٣٣- فافتـح أخي أقفـال قلبـك الـتي ذكرهـا سبحـانه في الآيـة

٣٤- ولتتدبـر القـران إنمـا أنـزله الرحمـن كي تقتحمـا

٣٥- فتتعـب الفكـر وتمعـن النظـر وتكشـف السر وتسـبر الخـبر

٣٦- فذلـك الذي يفيـدك العمـل ويجعـل القـرآن منـك كالحلـل

٣٧- تلبسـها خلقـا وعلمـا عمـلا تسـمو بهـا إلى منـازل العـلا

٣٨- ولا تكـن كمـن أقـام أحرُفـا وهجـر المعنـى ففاتـه الشـفا

٣٩- نـص عليـه الحسـن البـصريُّ التابـــع العالـــم والمـــرضيُّ

٤٠- وقـال أنـزل الكتـاب للعمـل فجعلـوا ترتيلـه هـو العمـل

٤١- أخي تدبـرْ كي تنـل مـن لذتِـهْ ولترتشـفْ أنـوارَهُ مـن غرفتـه

٤٢- فبالتدبُّـــر تـــداوي القلبـــا وتدفـع الغـم وتنـفي الكربـا

٤٣- وهـو اقتـداء بالرسـول الأكـرم صـلى عليـه الله مـن معلـم

٤٤- وذاك مـن صفـات أهـل العلـم تفاوتـوا بـه في عمـق الفهـم

٤٥- وهـو مـن التـدارس المعتمـدِ في قـوله مـا اجتمعـوا في مسـجد

٤٦- وهـو على قـدر الفهـوم يـدرك فـــأمي وعالـــم محنـــك

٤٧- كل ينــال مـن كلام الله إلا المنافـــقُ وإلا الـــلاهي

٤٨- فاحـرص عـلى تدبُّـر القـرآن واجعلـــه مـــن وردك كل آن

فصل في تدبُّر الرسول ﷺ

٤٩- وكيـف لا يكـون خـير الخلـق أكثرهـــم تدبـــرا بحـــق

٥٠- كأنـــه في سمـــته قـــرآن يمـشي ويهـدي حـاله البيـان

٥١- وقـام ليلـة بآيـة فقـط يخـشى على أمتـه مـن السـخط

٥٢- وذرفـت عينـا حبيـب الله لمـا تلـى عليـه عبـد الله

٥٣- وهكــذا الأسـيف كان دمعـه   يغلبـــه إذا يـــؤم جمعـــه

٥٤- واسـتنبط السـبقَ لأهـل الهجـرةِ   تحـت السـقيفة بأجـلى حُجـةِ

٥٥- وهكــذا الفــاروق حـين سـمعا   والطــور قــام للجــدار خاشــعا

٥٦- وعاده النــاس مريضــا شــهرا   لــم يعرفـــوا له دواءً يـــدرى

٥٧- عثمــان قــال لــو قلوبنــا زكـت   فلــن تراهــا مــن قــرانٍ شــبِعَتْ

٥٨- وهكــذا علي حــين اســتخرجا   أقــصر حمــل بالدليــل اســتنتجا

٥٩- والحـــبر قـــال ســـورة تلوتهـــا   في ليلـــة تجـــول بي فكرتهـــا

٦٠- خــير مــن الختمــة تلــو أختهــا   هــذّا كهــذ العُــرب في ســمرتها

٦١- وهكـــذا الصحابـــة الكـــرام   بعـــشر آي عملـــوا وقامـــوا

٦٢- ونــال الــبر منهــمُ مــن أنفقــا   ممــا أحــب وبــه النــار اتقــا

٦٣- فانظــر إلى آثــار هــذا الــوحي   في أنفـــس تدبـــرت بـــوعي

فصل في مفاتيح التدبر

٦٤- هــاك مفاتيــح لهــذا الأمــر   أولهــا تعظيــم قــدر الذكــر

٦٥- فهـو كلام الله ذي الجــلال   فاقصــد إليــه كامــل الإقبــال

٦٦- واســتجلب الخشــوع بالترتيــل   مــع ســؤال الفتــح والقبــول

٦٧- وليس أنفع من القيام ... بالليل حيث جلوة الأفهام

٦٨- فذا الكتاب يمنع المناما ... قد رفع الله به أقواما

٦٩- تحيَّنِ الأوقاتَ والأماكنا ... وكن لسيرة الرسول حاضنا

٧٠- فهي المثال والمنار والهدى ... بها تنال في التدبر المدى

٧١- فتعرف الأسباب والأحوالا ... وتفهم السياق والأمثالا

٧٢- ولا غنى في الباب عن مدارسة ... فاصمد لها في زمرة منافسة

٧٣- وانظر إلى المصحف داوم النظر ... وكرر الآية لا تخش الضجر

٧٤- فذا كتاب كله كنوز ... فدونك الكنز وما تحوز

٧٥- وارجع إلى التفسير للتثبت ... من اللآلي وعلى الدرب اثبت

٧٦- والجأ إلى الله بالاستغفار ... فذاك باب الفتح والإيثار

فصل في الملكات التي يحتاجها متدبر القرآن

٧٧- أولها لسان هذا الحيِّ ... أهل الفصاحة قوم النبي

٧٨- فإنما نأخذ من كتابهم ... بقدر ما نأخذ من لغتهم

٧٩- من أجل ذا تدبروا القرآنا ... حتى الذين رفضوا الإذعانا

٨٠- فكان منهم من يبيت واقفا ... يختلس السمع بليل خائفا

٨١- ومَـن يعُـدْ بعـد سـماعه النـبي بوجـه غـير وجهـه الذي نـمي

٨٢- ألا تراهـم خـروا للأذقـان إذ سـمعوا النجـم على الكفـران

٨٣- فهكـذا القـرآن حـين يسـمعه ذو اللغـة الفصحى يـكاد يصرعه

٨٤- فاحفـظ أخي مـن شـعرهم ونثرهـم فهـو السـبيل لاقتبـاس فهمهـم

٨٥- واحـذر أخي تدبـر الأعاجـم فإنـه للعُـود غـيرُ عاجـم

٨٦- وثانيـا ملكـة التأمـل فبعـثر الأفـكار بالتسـاؤل

٨٧- واسـتنبط المعـاني بالقيـاس ولتـضرب الأخمـاس في الأسـداس

٨٨- وثالثـا ملكـة الخيـال بهـا تجـول في الفضـاء العـالي

٨٩- فتركـب السـفين في أصحـاب نـوح وتحـضر الموقـف والصحْـف تلـوح

٩٠- وتبصـر اللهيـبَ والزبانيـة -عـين اليقـين- والقطـوفَ الدانيـة

٩١- فبالخيـال يسـتثار الوجـد فيقشعـر ويلـين الجلـد

٩٢- ورابعـا ملكـة التنزيـل فاربـط بهـا الحـادث بالأصيـل

٩٣- وانـزل بهـا للنـاس في معاشـهم كي يحـكي القـرآن عـن زمانهـم

٩٤- وبعـد هـذا خـذ مـن العلـوم فـكل علـم يشـف مـن كلـوم

فصل في قواعد تعين على التدبر

٩٥- أما إذ استجمعت بعض ما ذكر فخذ قواعد بها تُجلى العبر

٩٦- فابحث من السورة عن مقصدها وما يثنى بالذكر في آياتها

٩٧- فربما كانت لمقصد ظهر وربما يخفى على ذوي البصر

٩٨- فاطلبه في مواطن النزول أو في اسمها كالشرح في التمثيل

٩٩- وقصة النصارى بعد البقرة وحاطب إذ جاء في الممتحنة

١٠٠- ومطلع السورة قد تلفيه يشير للمقصد أو يبديه

١٠١- وربما تكرر الكلام كالذاريات رزقها يرام

١٠٢- وربما أفادك الختام كالنصر في الصف به إعلام

١٠٣- ودونك البحار في الدلالةِ دلالة الألفاظ عينِ الغايةِ

١٠٤- تفصيلها تلفيه في الأصول والعلم ذاكَ سلم الوصول

١٠٥- وبعده تناسب الايـاتِ كأن يجي ختامها يواتي

١٠٦- أوتأتيَ الآية بعد أختها فعند ذاك تستبين ما بها

١٠٧- وانظر الى النسبة ما بين السور خذ في الصراط والكتاب معتبر

١٠٨- وهكذا الفتح تليها الحجرات إذ تم ما للصحب فيها من صفات

١٠٩- وبُـدئ الـوحي بسـورة العلـق　　وبـان في القـدر مقـام اتسـق

١١٠- وانظـر إلى اقـتران كلمـة بمـا　　يفيـد معـنى قـد أضيـف بهمـا

١١١- وانظـر إلى يمـين ذي الجـلال　　قـد فصلـت كقطـع الـلآلي

١١٢- وانظـر إلى السـياق والسـباق　　تظهـر لـك التقـوى بـين الطـلاق

١١٣- وتـدرك الصـلاة في والـوالدات　　وتفـرق المعـاني في والمحصنـات

١١٤- فـارق بـذي القواعـد المنـازلا　　وادخـل فبـاب الله ليـس مقفـلا

فصل في ضوابط التدبر

١١٥- خـذ مـن معاني الـوحي ما قـد وافقا　　تفسـير أهـل العلـم ممـن سـبقا

١١٦- ممـا يجـوز مـن كلام العـرب　　فغـير ذا ضرب مـن التسـيب

١١٧- واحـذر فطير الـرأي حـتى ترجعـا　　لكتـب أهـل الشـان ممـن جمعـا

١١٨- العلـم مـع منهـج خـير السـلف　　واحـذر مـن الإعجاب بـاب التلف

فصل في موانع التدبر

١١٩- ويمنـع التدبُّـر العصيـان　　والكـبر والبدعـة والطغيـان

١٢٠- وكيـف يـدرك كـلام الله　　الغافـلُ المعـرض عنـه الـلاهي

١٢١- وكيـف يـدرك كـلام الله　　مـن يـترك المحكـم لاشـتباه

١٢٢- وكيـف يـدرك المعـاني أعجـمي أعـرض عـن لغـة خـير الكلـم

١٢٣- ومـن يـرى أن الـكلام ليـس له يجعـلُ حجـةَ الكتـاب مهملـه

١٢٤- ومـن أضـاع عمـره في اللهـو أفسـد قلبـه سـماع اللغـو

١٢٥- ولا يشـغلك الحـرف والمخـارج واللحـن والصـوت وذي المباهـجِ

١٢٦- لا تقطعـنْ معنـاه بالأجـزاء والصفحـات ذا مـن الأدواء

١٢٧- واحـذر أخي تعجـل المعـاني فمـا العجـول رب هـذا الشـان

١٢٨- والـورعَ البـارد أن تقـولا لسـت أقـول في الكتـاب قـولا

١٢٩- فهــذه موانــع التدبُّــر فـاشرح إلـهي الصـدرَ بالتفكُّـرِ

١٣٠- وصـل يـا رب على المعلـم صلاتـك الـتي تـرضى وسـلِّم

قائمة المصادر والمراجع

١) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق سعيد المندوب، (لبنان: دار الفكر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

٢) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، جمع وتقديم: نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، (دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧م)، ط١.

٣) إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، (بيروت: دار المعرفة).

٤) الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م)، ط١٥.

٥) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، (بيروت: دار الفكر)، ط٢.

٦) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد حامد الفقي، (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٦٩هـ)، ط٢.

٧) إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم، القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي، اعتنى به: د. يحي إسماعيل، دار الوفاء (مصر)، ط١، (١٤١٩هـ).

٨) بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، وعادل عبد الحميد العدوي، وأشرف أحمد، (مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م)، ط١.

٩) البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبدالله، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٩١هـ).

١٠) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، (دار الهداية).

١١) التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: السيد هاشم الندوي، (دار الفكر).

١٢) تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، (دار الفكر ، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م)، ط١.

١٣) التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا يحي بن شرف النووي، (دمشق: الوكالة العامة للتوزيع، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)، ط١.

١٤) مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)، ط٣.

١٥) تدبر القرآن، سلمان بن عمر السنيدي، من إصدارات مجلة البيان، الرياض.

١٦) تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، (المدينة المنورة، مكتبة الدار، ١٤٠٦هـ)، ط١.

١٧) تفسير ابن عاشور، التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ط١.

١٨) تفسير البحر المحيط، العلامة أبو حيان الأندلسي، (دار الفكر).

١٩) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠ -٧٧٤ هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)، ط٢.

٢٠) التفسير من سنن سعيد بن منصور، تحقيق أ. د. سعد بن عبد الله الحميِّد، دار الصميعي، الرياض.

٢١) تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي، تحقيق: أحمد فريد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م)، ط١.

٢٢) تهذيب الكمال، أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)، ط١.

٢٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م)، ط١.

٢٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري، (ت: ٣١٠هـ) تحقيق: محمود محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م)، ط١.

٢٥) جامع العلوم والحكم، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٨هـ)، ط١.

٢٦) جامع المسائل لابن تيمية، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد عزير شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، (دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ)، ط١.

٢٧) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ط٢.

٢٨) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيِّم الجوزية، (بيروت: دار الكتب العلمية).

٢٩) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ)، ط٤.

٣٠) خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، محيي الدين النووي، حققه وخرج أحاديثه: حسين إسماعيل الجمل، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م)، ط١.

٣١) ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي، تحقيق د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض.

٣٢) الرسالة التبوكية، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، (القاهرة: طبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر).

٣٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

٣٤) سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني، تحقيق: خليل مأمون شيحا، (بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)، ط٧.

٣٥) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار الفكر).

٣٦) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر: (جـ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي: (جـ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف: (جـ٤، ٥)، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥م)، ط٢.

٣٧) سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي، والأحاديث مذيلة بأحكام حسين سليم أسد عليها، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، ط١.

٣٨) السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ط٣.

٣٩) سنن النسائي، المجتبى من السنن، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)، ط٢.

٤٠) سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ط١.

٤١) سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، (مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)، ط٣.

٤٢) شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، (دمشق، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)، ط٢.

٤٣) شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ)، ط١.

٤٤) صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)، ط١.

٤٥) صحيح الجامع، محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.

٤٦) صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسـول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

٤٧) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٩٦٨م)، ط١.

٤٨) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي، (بيروت: دار الكاتب العربي).

٤٩) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ومحب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، (مصور عن الطبعة السلفية).

٥٠) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، (مصر: المنصورة، دار الوفاء، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م) ط٣.

٥١) فضائل القرآن، المستغفري، تحقيق د. أحمد بن فارس السلوم، دار ابن حزم، (بيروت - لبنان)، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

٥٢) فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٩٧٤م)، ط١.

٥٣) قواعد التدبر الأمثل، عبد الرحمن حبنكة الميداني، (دمشق، دار القلم، ١٩٨٠م)، ط١.

٥٤) قواعد في تدبر القرآن الكريم، محمد كالو، ضمن بحوث المؤتمر الأول للهيئة العالمية لتدبر القرآن.

٥٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

٥٦) الكواكب الدرية على المنظومة البيقونية.

٥٧) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ط١.

٥٨) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، (بيروت: دار صادر)، ط١.

٥٩) لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق: دائرة المعارف النظامية - الهند، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)، ط٣.

٦٠) مبحث جليل على آية من التنزيل، للشنقيطي، مكتبة الحرم النبوي الشريف.

٦١) المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوريّ، أبو بكر (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، (دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٨١م).

٦٢) متن القصيدة النونية، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٧هـ)، ط٢.

٦٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، (القاهرة: مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

٦٤) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: أنور الباز- عامر الجزار، (دار الوفاء، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م)، ط٣.

٦٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيِّم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٣ / ١٩٧٣م)، ط٢.

٦٦) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، (بيروت: دار الكتب العلمية).

٦٧) المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م)، ط١.

٦٨) مسند أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م)، ط١.

٦٩) مصباح الزجاجة، شهاب الدين البوصيري، (بيروت: دار الجنان).

٧٠) مصنف ابن أبي شيبة = المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبدالله ابن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ)، ط١.

٧١) مصنف عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ)، ط٢.

٧٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق وتخريج: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)، ط٤.

٧٣) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، (الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م)، ط٢.

٧٤) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

٧٥) المغني عن حمل الأسفار، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم العراقي، تحقيق أشرف عبد المقصود، (الرياض: مكتبة طبرية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

٧٦) مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، د. خالد بن عبد الكريم اللاحم، (الرياض: ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

٧٧) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، (بيروت: دار الكتب العلمية).

٧٨) مفهوم التدبر في ضوء القرآن والسنة وأقوال السلف وأحوالهم، محمد عبدالله الربيعة، الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم، ١٤٢٩هـ، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم.

٧٩) مقدمة في أصول التفسير، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: عدنان زرزور، (دار النشر، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، ط٢.

٨٠) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحي بن شرف بن مري النووي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ)، ط٢.

٨١) النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، أشرف على تصحيحه ومراجعته: علي محمد الضباع، شيخ عموم المقارئ بالديار المصرية، (بيروت: دار الكتب العلمية).

٨٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

٨٣) النهاية في غريب الحديث، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، (بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الفصل الأول: مبادئ التدبر	١٣
المبحث الأول: تعريف التدبر	١٥
المبحث الثاني: نسبة علم التدبر إلى العلوم وموضوعه	٢٥
المبحث الثالث: واضع علم التدبر	٢٧
المبحث الرابع: حكم الشرع في التدبر	٣٩
المبحث الخامس: فضل علم التدبر	٤٥
المبحث السادس: ثمرة التدبر	٥٣
المبحث السابع: مسائل علم التدبر واستمداده	٥٩
الفصل الثاني: أسباب التدبر وموانعه	٦١
المبحث الأول: الأسباب المعينة على التدبر	٦٣
المطلب الأول: الأسباب المعنوية	٦٣
المطلب الثاني: الأسباب الحسية	٦٧

الموضوع	الصفحة
المبحث الثاني: موانع التدبر	٨٧
المطلب الأول: الموانع المعنوية	٨٧
المطلب الثاني: الموانع الحسية	٩٤
الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث	٩٧
منظومة فتق الأذهان بتدبُّر القرآن	٩٩
قائمة المصادر والمراجع	١٠٩
فهرس الموضوعات	١١٩